

# الفصل الثالث

**الملك عبد العزيز**

**ومصادر  
الصورة  
الذهنية**

نقد استطاع الملك عبد  
العزيز أن يخلص ببلاده  
حررة تملك كل معنى  
للحررية فى أرضها  
وبحارها وسمانها. لم  
يضع الاستعمار قدما  
واحدة على شبر من  
أرض هذه المملكة فى  
أيام سلم أو حرب  
معالي الشيخ عبد العزيز  
التويجى من كتاب  
السراة الليل هتف الصباح.



# الفصل الثالث

الملك عبد العزيز

## ومصادر الصورة الذهنية

إن دراسة الطابع العام للأمة مدينة بوجودها لعلماء علم النفس التقليدي، وبصفة خاصة تحت تأثير الاتجاه القومي في التحليل الاجتماعي - يبرز هذا بشكل واضح في الإنتاج العلمي الذي يعود إلى ما قبل الحرب العالمية الثانية - في أعقاب ذلك حدث انتكاس واضح للاهتمام بهذه الناحية. ولكن تلقف هذا الموضوع التحليل السياسي الذي جعل من نظرية الطابع القومي أحد المداخل الرئيسية للدراسة المكروكوزمية لظاهرة السلطة، وكما تأثر علم السياسة بالعلوم السلوكية كان على النظرية السلوكية أن تتأثر بدورها بعلم السياسة. هذه الحقيقة واضحة في فقهننا سواء في بنائنا للنظرية السياسية، أو في تحليلنا للظاهرة السلوكية.

عملية إعادة تشكيل الطابع العام.

ولكن ما المراد أولاً بالطابع العام للأمة؟

«في أوسع معانيها يقصد بهذه الكلمة تلك المجموعة من الخصائص والأنماط السلوكية والسمات بين أعضاء المجتمع الواحد الذي تسوده نفس العادات ويرتبط بنفس التقاليد ويسيطر عليه نظام ثقافي مشترك» فإذا قيل إن الطابع القومي الياباني<sup>(١)</sup> يسوده مبدأ الاحترام الزائد بين الجنسين على عكس الطابع القومي الإنجليزي الذي يقوم على مبدأ الاحترام المتبادل بين الذكر والأنثى، بينما المجتمع السويدي يقدم طابعاً قومياً يتناقض في هذه الناحية مع الطابع القومي الياباني. فإن هذا لا يعني أكثر من :

**أولاً :** أن الطابع القومي هو مفهوم مجرد عام يرتبط بواقع اجتماعي معين دون أن يعني التعبير عن حقيقة أو صورة سلوكية واقعية. ومن ثم فإن الطابع القومي هو أحد عناصر التحديد بالسلوك الفردي أكثر من أن يكون صورة محددة للسلوك الفردي.

(١) د. حامد ربيع : نظرية الطابع القومي ، القاهرة ص ١٥٠

ثانياً : وهو لذلك مفهوم جماعى رغم أنه يعكس إطاراً فكرياً للسلوك الفردى . ولعل هذا يفسر كيف أن مفهوم الطابع القومى يقف عند حدود السلوك الفردى والجماعى . فهو أحد مقومات السلوك الفردى من جانب ، وهو يعكس مفهوماً مجرداً للسلوك الجماعى من جانب آخر .

ثالثاً : وهو يفترض نوعاً من الاستقرار والثبات ومقاومة التعبير بحيث يمكن فى بعض الأحيان إطلاق المفهوم ليرتبط بمجتمع معين ، وقد ألقى عامل الزمان (١) .

ويذهب د. حامد ربيع إلى أن دراسة الطابع القومى ذات أبعاد عديدة: فهى مناسبة لتحديد طبيعة العلاقة بين السلوك الفردى والسلوك الجماعى ، ولكنها أيضاً نموذج واضح لتلك الصورة من صور الدراسات التى سبق أن أسماها بالدراسات الحركية حيث يصير على الباحث أن يخرج من ميدان الفضول العلمى إلى ميدان المشاركة العلمية أو عبارة أدق إلى محاولة استخدام علمه وثقافته كأداة من أدوات التطوير الاجتماعى .

وترتفع أهمية هذه الدراسة بشكل خاص فى هذه المرحلة التى يجتازها المجتمع العربى والإسلامى ، ذلك أن هذه المرحلة التى نعيشها يواجه فيها مجتمعنا وأمتنا حملة ضخمة من التشكيك والتشويه ، فى مواجهة الشخصية الإسرائيلية والصهيونية خاصة .

وقد وجه خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز آل سعود ، وصاحب السمو الملكى الأمير عبد الله بن عبد العزيز آل سعود ولي العهد ونائب رئيس الوزراء ورئيس الحرس الوطنى كلمة شاملة ضافية إلى حجاج بيت الله الحرام عام ١٤١٣ هـ تؤكد مفهوم البناء الحضارى فى تأكيد المنهج ، ودعم الصورة الإيجابية للمملكة العربية السعودية فى أذهان العالم ، وفى هذه الكلمة نقراً:

### نواصل الوفاء لأمانتنا:

«ونحن أيها الأخوة فى الله جادون بإذنه تعالى فى تحقيق أضخم مشاريع التوسعة والتطوير والتجميل للمدينتين المقدستين لإيماننا بأن أمانة هذه الدولة ومسؤولياتها

(١) الخلط بين مفهوم الطابع القومى المصرى ، ومفهوم القومية العربية لا يزال حتى هذه اللحظة يسيطر على أذهان الكثير من كتابنا . قارن عرضاً لهذه الناحية فى: أبو خلدون ساطع الحصرى ، أبحاث مختارة فى القومية العربية ١٩٦٤ ، ص ٥١٤ ، وما بعدها . د. حامد ربيع : السابق ص ١٦٢

مرتبطنان بما يوفقنا الله لإنفاقه وبذله عليهما أداءً للواجب واضطلاعاً بالمسؤولية. وهو واجب ومسؤولية لا نرجو من ورائهما شكراً أو ثناء من أحد، وإنما نرجو المثوبة والأجر عند الله والاحتساب لديه بخير الأعمال وصالحها وتسهيل أداء المسلمين مناسكهم وتوفير الأمن والطمأنينة لهم.

### لن نلتفت للموتورين

«سوف لن نلتفت لما يقال ويتردد من بعض المغرضين والموتورين من حين لآخر ممن يحاولون التشويش على هذه البلاد والتقليل من شأن أعمالها الجليلة التي لا ينكرها إلا جاحد موتور ولا يعمرى عنها إلا مغرض مأجور.

وسوف تتواصل جهودنا بإذن الله وحوله وقوته للعمل بصبر وبصمت من أجل الوفاء بالواجب دون الالتفات لمثل تلك الأعمال والممارسات ودون أن نسمح لأحد بأن يمس أراضينا أو يسيء إلى مقدساتنا أو ينال من هدوء واستقرار وأمن حجاج بيت الله الحرام وزائري المسجد النبوي الشريف.

وكلنا أمل في تعاون الدول الإسلامية ومساهمتها في توعية الحجاج والوافدين منها إلى هذه الديار وتحقيق مبدأ الاستطاعة الشرعية لأداء الفريضة واحترام المقدسات وتقدير الموقف العظيم والمحافظة على الصحة.

### استقرارنا يساهم في التكامل :

«أيها الإخوة في الله ...

وإذا كان الشيء يذكر فإن المملكة العربية السعودية وهي تواصل رسالتها في خدمة قضايا الأمة الإسلامية ومساعدة المحتاجين والتخفيف من حدة الكوارث والمشكلات والأزمات في هذا العالم إيماناً منها بأن ما أنعم بها الله عليها من نعمة الإسلام أولاً ثم نعمة الاستقرار الأمني ثانياً ثم نعمة الاستقرار المالي ثالثاً لا بد وأن يسهم ذلك كله في تحقيق مبدأ التعاون، والتكامل بين دولنا وشعوبنا.

### مستمرون في أداء واجبنا:

«ولسنا هنا بصدد الحصر الشامل لكل هذه الجهود وتلك المساهمات وإنما نحن

بصدد تقديم نماذج من هذه المشاركات التي نشعر برضى الضمير ونحن نسهم بها في حل الكثير من المشكلات والنكبات. فنحن لم نتعود أن نتحدث عن كل ما تقدمه في مختلف المجالات، كما أننا لا نسعى من وراء استعراض بعض هذه الأعمال أن نمن على أحد، ولكن الهدف هو التأكيد على أن المملكة العربية السعودية مستمرة في أداء واجبها الديني والأخلاقي والإنساني تجاه إخوتها وأشقائها بل وتجاه الإنسانية جمعاء، إسهاماً منها في تحقيق الأمن والرخاء والاستقرار في تلك الجهات لإيمانها بأن هذا واجب تفرضه روابط العقيدة الإسلامية.

وسوف نواصل مساهماتنا بقدر المستطاع ودون أن نتطلع من وراء ذلك إلى كسب أو تحقيق مصلحة أو التخطيط لاقتناص مغنم من المقام، وإنما هدفنا هو أن نسهم في تحقيق الاستقرار والطمأنينة والتفرغ للبناء والتنمية والتطوير.

وإنه ليسعدنا أن نؤكد هنا أن المملكة العربية السعودية معنية ببناء الإنسان السعودي وتنمية قدراته وإمكاناته ليكون دائماً في مستوى المسؤوليات التاريخية الضخمة التي وضعت في عنقه وهو جدير بتحملها إن شاء الله.

### دين العقل والمنطق :

«إخوتنا في الله ..

تحددت معالم الطريق التي يجب على الإنسان المسلم أن يسلكها فنزلت الآية الكريمة علي نبيه المصطفى ﷺ : ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾ (المائدة: آية ٣) حسماً لكل جدل وتحديداً للنهج الإيماني القويم.

ذلك أن الإسلام دين الكمال وعقيدة الرحمة ونهج الحياة الأمثل وقد عزت به الأمم والأقوام وتلاشت في نطاقه العصبيات، والعروق والقوميات، وانصهرت جميعها في بوتقة الإيمان المطلق بالله سبحانه وتعالى والوجهة الواحدة نحو وحدانيته والالتزام بقواعد شرعه وتمثلها في كل شأن من شؤون حياتنا.

ومن حسن حظ هذه الأمة أن اختار الله لها الطريق الذي لا تضل بعده أبداً وهو

طريق الهداية والنور والعرفان والمحبة والسلام والوئام والحرية والتكافل والتراحم والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والتوجيه والإرشاد نحو طريق الحق والعدل والصلاح.

### الإسلام يكفل كرامة الإنسان:

«ومن هنا كان الإسلام ديناً يعتمد العقل والمنطق ويؤسس قيمه ومبادئه ومثله على قواعد من الاحترام الكامل لأدمية الإنسان وأحقيته في الحياة الحرة الكريمة والتعامل معه بالحكمة والموعظة الحسنة. وقد قال سبحانه وتعالى في محكم كتابه مخاطباً نبيه المصطفى ﷺ: ﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ (آل عمران: آية ١٥٩).

ومن هنا كان الإسلام أيضاً دين العمل والمشاركة وليس دين التواكل والعزلة والانطواء لكي تعمر الحياة وتستمر إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

### نستغرب الممارسات البعيدة عن الإسلام:

«ولذلك فإننا نستغرب كثيراً ما نسمعه في هذا الزمان من أعمال وتصرفات وممارسات لا صلة للعقيدة الإسلامية الخالصة بها ولا علاقة لخلق الإنسان المسلم القويم بأسبابها ودوافعها. نستغرب لأننا ندرك أن الأمة الإسلامية التي نشأت على حفظ كتاب الله والعمل به واتباع سنة نبيه عليه أفضل الصلاة والسلام والاستهداء بنهج الخلفاء الراشدين الأبرار لا يمكن أن تنبت نباتاً غير صالح أو أن تنجب شعوباً منفصلة عن تربتها النقية وبذرتها الصالحة ومنهجها القويم.

ولذلك فإن ما نراه ونلمسه ونسمعه من ظواهر لا تعدو أن تكون ردات فعل غير حكيمة وانعكاسات غير منضبطة لأوضاع غير طبيعية لا تخرج عن كونها اجتهادات خاطئة وتصرفات ينقصها الرشد وتحتاج إلى التصحيح والتقويم للعودة إلى الله والتمسك بكتابه العظيم والتزام الحكمة والصبر والأناة وبعد النظر في معالجة هذه (الظواهر) غير السوية في تضخيم صورة ما يحدث من اجتهادات ومفارقات وتصرفات غير مسؤولة ومن ثم توصلت إلى استنتاجات خاطئة بلغت حد العداء السافر للإسلام والمسلمين، ومحول الحديث داخل مجتمعاتها عن الإسلام والمسلمين إلى روح عدائتي

عرضت وتعرض مصالح الجميع للخطر وقد تؤدي إلى توسيع نطاق الفجوة بين بلداننا وشعوبنا وتلك البلدان والشعوب نتيجة خطأ التصور وعاطفية النتائج التي توصلوا إليها.

### تصحيح المفاهيم أولاً:

إن مهمتنا جميعاً أيها الإخوة بالغة التعقيد وغير هينة وسط هذا الشعور المتزايد بالعداء لأمتنا وشعوبنا. فمهمتنا تبدأ بتصحيح الأوضاع الخاطئة في مجتمعاتنا وأساليب حياتنا وتغيير مفاهيمنا الخاطئة نحو الإسلام، وفهم الإسلام وطبيعة الدعوة إلى الله وتوصيف الداعية والتميز بين الدعوة والاجتهاد.

وفي نفس الوقت فإننا مطالبون بأن نبذل جهوداً كبيرة وجبارة لطمأنة دول وشعوب العالم، وتصحيح تصوراتها والتدليل لها على خطأ قناعاتها، والتأكيد لها من خلال تعاملاتنا الواعية وعلاقتنا الموضوعية وتعاوننا الواقعي معها؛ أن الإسلام برئ من كل تلك التصرفات، وأن الدين الإسلامي يحترم في الإنسان إنسانيته ويستنهض فيه هممه ويطور قدراته ويشجع الابتكار لديه والتفتح في تفكيره والتبصر والأناة والحكمة في معاملته، ونحن واثقون أن ترجمة هذه الجهود إلى ممارسات إيجابية سيساعد كثيراً على ترسيخ المفاهيم الإسلامية الصحيحة في نفوس الأجيال المسلمة.

### الإسلام كرم الإنسان وكفل حقوقه:

«أيها الإخوة في الله...

إن المفاهيم الخاطئة عن الإسلام في بعض المجتمعات تستوجب منا العمل الدؤوب والمتواصل لتأصيل فكرة الإسلام وتوضيح مراميه.. فنحن ندين بعقيدة تحترم حقوق الإنسان وتجعل التقوى وليس أي شيء آخر مصدر التكريم للإنسان.

### الإسلام يرفض العنف والتطرف:

«إن المملكة العربية السعودية وهي تعتمز بتطبيقها الكامل لشريعة الله في الأرض تواصل جهودها في سبيل غرس القيم الإيمانية الصادقة في جميع مناحي الحياة، لنؤكد بأن الإسلام لم ولن يكون في يوم من الأيام دين الصراع والصدام والعنف والتطرف وأن وجود خلل في بعض المجتمعات لا يبرر استخدام القوة والتدمير والتجاوز على كل

الحقوق وتحكيم شريعة الغاب، كما أنه لا يبرر تغذية الأحقاد وتمزيق الروابط ونسف المكتسبات وتضخيم التناقضات وإلغاء سلطة الدولة والتعدى على هيبتها والمساس بأمن الوطن والمواطن.

**تجربتنا تجسيد للأمن والاستقرار والعدل:**

«ولكم نحن سعداء فى هذه البلاد بأن جسدت تجربتنا كل معانى الخير والمحبة والصلاح وتكريس مبادئ الأمن والاستقرار والعدل فى الأرض. وهى تجربة بسيطة وواضحة لأنها حافظت على أصالتها وتمسكت بترائها ولم تتخل عن قيمها وتاريخها، ومع ذلك فإنها لم تدر ظهرها للمعطيات الحضارية والإنسانية أو تتراجع أمام تجارب المجتمعات الأخرى القويمة بل تقدمت بكل ثقة وبما أتبع لها من أصالة وعمق تأريخى ومن ثقة بالنفس وبنشأة صالحة للأجيال ومحصن للمجتمعات تقدمت نحو حضارة العصر وأخذت منها كل ما يناسبها واستفادت من كل منجز يمكن أن يساعدها على تطور حياتها المادية وفق تعاليم العقيدة الإسلامية وعلى ضوء هداها.

**الاستنتاجات الخاطئة أساءت للإسلام:**

«أيها الإخوة فى الله...

إن بعض دول العالم تتحدث عن الإسلام وكأنه القوة التى ستدمر حضارة الإنسان وتغير وجه الحياة وتعيد البشرية إلى القرون الوسطى.

ولكم نحن سعداء بأن الكثير من الدول التى كانت تنظر إلى الإسلام والمسلمين بمثل نظرتها الضيقة وتسيء فهم حقوق الإنسان فى الإسلام قد بدأت تدرك هذه الحقيقة وتنبير الكثير من أنظمتها وتطبق الكثير من الأحكام الصارمة للاقتصاص من الجناة والمجرمين كما جاء بها الإسلام وطبقها بلادنا.

**مبادئنا: عدل ومساواة وتسامح:**

«أيها الإخوة فى الله...

إن الشريعة الإسلامية الخالدة ويكل ما انطوت عليه من عدل وسماحة وتكريم للإنسان ومحافظة على حقوقه ومكتسباته وتوظيف لقدراته وطاقاته تقدم للإنسان حلولاً عملية للكثير من المشكلات والأزمات فلا عنصرية ولا عصبية ولا عرقية ولا طائفية في الإسلام .. بل عدل ومساواة وتسامح وهي الأسس الثلاثة التي قامت عليها المملكة السعودية منذ نشأتها وتعمل على ترسيخها في كل شأن من شؤون الحياة تجسداً للتوجيه القرآني الخالد وتبنيها لمبادئه العظيمة.

### نحترم حقوق الإنسان ولا نسمح بالتجاوز:

«صحيح أن البشر يخطئون وأن الممارسة في بعض الأحيان قد يشوبها بعض القصور غير أن الأكثر صحة هو أن المملكة حكومة وشعباً حريصة كل الحرص على تحقيق كل معاني العدالة والحرية والمساواة بين الناس في جميع أنظمتها وقوانينها.. وتشريعاتها المستمدة من أحكام الشريعة الإسلامية والتشاور في الأمر امتثالاً لقوله تعالى: ﴿وَأْمُرْهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ (الشورى : اية ٣٨) ولذلك فإن حقوق الإنسان مصونة وكرامته موفورة ولا نسمح في أى ظرف وتحت أى سبب بالتجاوز عليها أو الإخلال بها..

### على الآخرين تفهم خصو صيتنا:

«ونحن كمجتمعات إسلامية لها من القيم الثوابت ما تستغنى به عن التجارب والأفكار والممارسات الأخرى. لذلك نريد من الآخرين أن يحترموا ثوابتنا تلك ومبادئنا تلك وقيمنا تلك.. وأن يفهموا طبيعة الخصوصية التي تميز مجتمعاتنا وثقافتنا عن غيرها تماماً؛ كما نحترم نحن أنظمتهم وتقاليدهم وثقافتهم وتفهم أنماط تفكيرهم وإن اختلفنا معهم أيضاً».

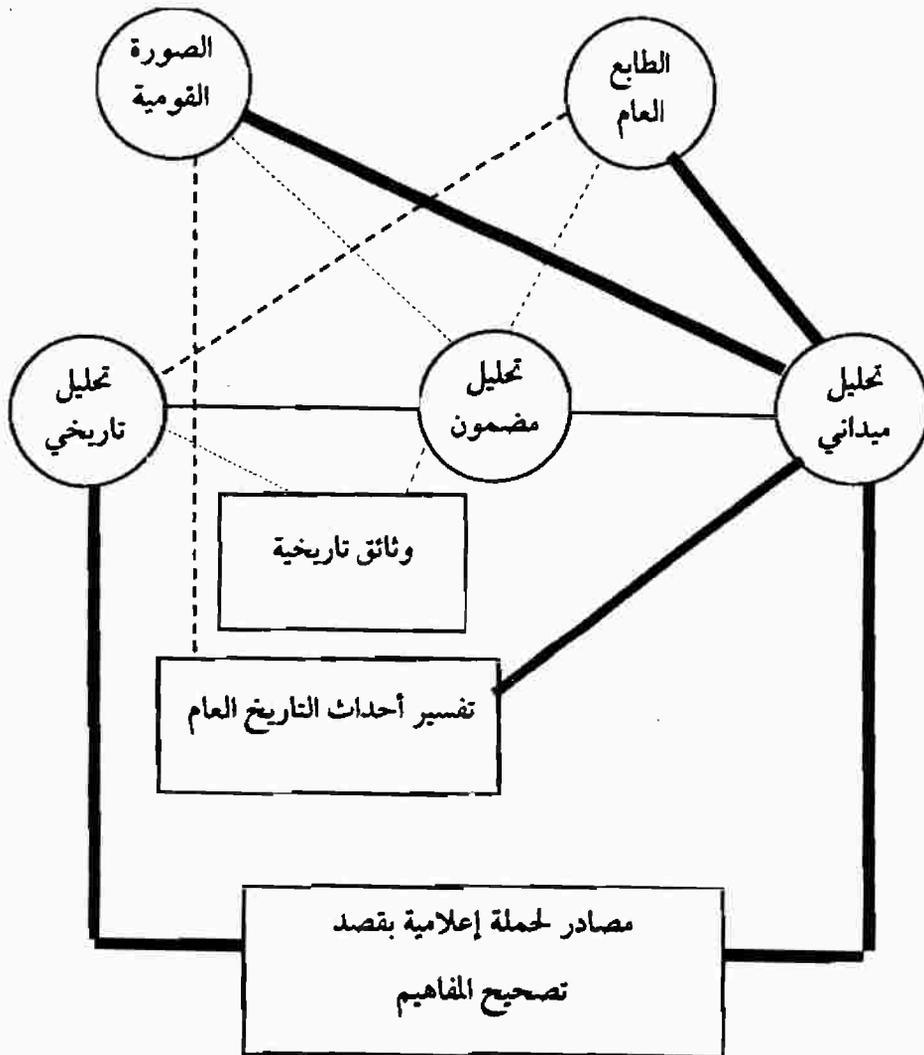
ويقتضينا السياق العلمى أن نميز بين القومية، والطابع القومى أو طابع الأمة، وأن نحدد الفارق أيضاً بين الطابع القومى National character والصورة القومية National Image ، تأسيساً على أن الطابع العام للأمة : ظاهرة تنبع من التحليل الموضوعى للسماح والملاح الفردية على المستوى الجماعى والشمولى، وهى خصائص

فردية تعبر عن الانتماء إلى مجتمع سياسي معين بحيث ترتبط بذلك المجتمع وجوداً أو عدماً، أما المفهوم الثاني أي (الصورة القومية) فيقصد بها كيفية تصور مجتمع لمجتمع آخر، سواء أكان هذا التصور يعبر عن الحقيقة ويعكس الصفات الواقعية للانتماء إلى ذلك المجتمع الآخر أم أن هذا التصور يخضع لعملية تشويه مقصودة أم غير مقصودة، فالطابع القومي يقصد به تلك الصفات التي يتصف بها العربي أو المسلم العادي، أما الصورة القومية فيقصد بها كيف يتصور الأجنبي - الأمريكي أو الإنجليزي مثلاً العربي أو المسلم - سواء كان هذا التصور مطابقاً للحقيقة أم غير مطابق لتلك الحقيقة<sup>(١)</sup>.

---

(١) د. حامد ربيع : نفس المرجع ص ١٨٣

# الطابع القومي وأبعاد التحليل العلمي



يذهب البناء الأساسي للشخصية، إلى دلالة ترتبط بتشكيل الشخصية، من حيث اشتراك غالبية أعضاء المجتمع فيه، نتيجة للخبرات التي اكتسبوها معاً، وهذا المفهوم يتطابق مع أنساق القيم والاتجاهات التي تعد أساسية، بالنسبة لتشكيل شخصية الفرد، وعلى ذلك يمكن لنفس أنماط الشخصية الأساسية أن تنعكس في ضروب مختلفة من السلوك.

وتظهرنا دراسة المفهوم الغربي للشخصية العربية، على اتجاه يستمد أصوله من المحاولات المتعددة في التراث الفكري الغربي، حاولت بدرجات متفاوتة من الموضوعية أن تصور للغربيين أخلاق العرب وعاداتهم. كما تظهرنا على دور مؤسس المملكة العربية السعودية في تصحيح المفاهيم الخاطئة عند الغرب عن الشخصية العربية.. والمفاهيم الخاطئة التي ارتبطت بالغرب في مرحلة غزوه الاستعماري للوطن العربي والعالم الإسلامي. ذلك أن الغرب لم يقنع بالترويج لصورة مزيفة عن العرب، بل إنه حرص عن طريق فلاسفته وعلمائه الاجتماعيين على رسم صورة تفصيلية تركز على قصور العرب وتخلفهم، في سياق النظرة العنصرية، التي تبرر الاستعمار.

ولقد كان لظهور الملك عبد العزيز في ساحة السياسة العالمية أثره الكبير في تصحيح المفهوم الغربي للشخصية العربية والإسلامية، الأمر الذي أدى بعدد من أهل الفكر المنصفين إلى إعادة بناء كامل لتصور الشخصية العربية والإسلامية من خلال التعرف من قريب بنموذج هذه الشخصية ممثلاً في الملك عبد العزيز.

ولسوف نتعرف على ملامح لهذه الشخصية العربية والإسلامية في مرآة الفكر الغربي المنصف، من خلال مصادر تكوين الصورة الذهنية، التي أتاحت لهؤلاء المفكرين والكتاب الاتصال بينهم وبين الشخصية العربية والإسلامية من قريب، الأمر الذي أدى إلى تغيير صورة هذه الشخصية تغييراً إيجابياً.

وحين نتناول بالدرس الصورة الذهنية التي تمثلها الشخصية العربية والإسلامية من خلال البناء الحضاري الذي شيده الملك عبد العزيز آل سعود، فإن هذه الصورة تبدو لنا في مفهومها، ممثلاً عقلياً مجرداً من خلال مصادر المفكرين والكتاب في دراساتهم عن الملك عبد العزيز.

والتي تظهرنا بدورها على قول كارليل: «إن تاريخ ما أحرزه الإنسان في هذا العالم إنما هو في أساسه تاريخ عظماء الرجال الذين حققوه بعملهم»<sup>(1)</sup> ولقد عبر عنها كزين Cousin بشكل أوضح حين قال: «إن عظماء الرجال بلخصون الإنسانية ويمثلونها»<sup>(2)</sup> والعلاقة المتضمنة هنا إما أن تكون علاقة رجل عظيم بعصره، وإما علاقة رجل عظيم بالأجيال القادمة. والشخصية التي ندرسها في هذا الكتاب تؤكد المعنيين. فالملك عبد العزيز يمثل بالفعل علاقة رجل عظيم بعصره من جهة، كما يمثل علاقة رجل عظيم بالأجيال القادمة، وهذا ما تحاول صفحات هذا الكتاب أن تجلوه، من خلال الدراسة العلمية التي تؤكد المعنيين.

فالملك عبد العزيز رحمه الله، يحسم بسيرته الخلاف الذي دار حول مسألة العظمة والشهرة. ذلك أن الأخلاقيين مثلاً ذهبوا إلى أن العظمة قد تحقق كلية في تحقيق الشهرة. وأن الشهرة قد تكون منقطعة الصلة بالعظمة، ولكننا هنا بإزاء الملك عبد العزيز نكون بإزاء رجل يجمع بين الشهرة والعظمة، على النحو الذي يجعله في عداد القمم العالية من العظماء الذين يرتفعون كثيراً فوق مستوى عامة الإنسانية وخاصتها أيضاً، كما ترتفع الجبال فوق سهول الأرض. على النحو الذي يجعلنا نتساءل مع بوردو: «ما ظنك بجغرافى يريد أن يعطى وصفاً كاملاً للأرض فيكتفى بذكر القمم العالية؟»<sup>(3)</sup>

أما مفتاح هذه الشخصية العظيمة فيتضح من قول الملك عبد العزيز:

«أنا لا أفتش ولا أسمى للرئاسة، ولا أريد علواً في الأرض، ولا سعادة وإنما يهمنى في الدرجة الأولى، جعل كلمة الله هي العليا، ولا يهمنى في هذا الشأن ما يعترضنى في الطريق من المصاعب والمتاعب».

وقائل هذا الكلام يقدم لنا مفتاح شخصية عظيمة بالفعل، تفتح لنا أبوابها وتنفذ بنا

(1) Carlyle . Thomas , Heroes , Hero Worship and the Heroic in History Centenary edition of the Works of Thomas Carlyle . Chapman and Hall , London . n.d. 30 Volumes v.I.

(2) Bourdeau . Louis . L'Histoire et les historiens , Paris , 1888.P.17.

(3) نفس المرجع ، ص ١٤.

وراء أسوارها وجدرانها، ذلك أن لكل شخصية إنسانية - كما يقول العقاد- مفتاحاً صادقاً يسهل الوصول إليه أو يصعب على حسب اختلاف الشخصيات .. «ورب شخصية عظيمة سهلة المفتاح ، فلا تروعنا الشخصية الكاملة التي تروعنا بغضائنها ومزاياها، ثم لا نستغرب منها فضيلة أو مزية بالقياس إلى انتظام عملها واتصال أثرها كالشمس الطالعة تروعنا بإشراقها في أوقاتها ويروجها، ثم لا نحيرنا لمحة عين كما نحيرنا الذبالة الضئيلة تومض لحظة وتختفى من بعيد».

وفي اعتقادنا أن شخصية الملك عبد العزيز رحمه الله من أقرب الشخصيات العظيمة مفتاحاً لمن يبحث عنه، فهو يقول واضعاً أيدنا على مفتاح شخصيته:

«إننى والله لا أحب إلا من أحب الله حباً خالصاً من الشرك والبدع، وأنا والله لا أعمل إلا لأجل ذلك، ولا يهمنى أن أكون ملكاً أو فقيراً».

فالإيمان هنا هو الذى يسم شخصية الملك عبد العزيز بسماته، وسيطر على أخلاقه وأفكاره، يقول رحمه الله :

«والله ثم والله، إنى لأفضل أن أكون على رأس جبل، أكل من عشب الأرض، وأعبد الله وحده، من أن أكون ملكاً على سائر الدنيا وما فيها».

وهذا القول يشير إلى ما ذهب إليه العقاد فى تحديد السمة التى تميز بين العظماء حتى فى الإيمان وسيطرته على الأخلاق والأفكار والدوافع والسورات، فإن الإيمان ليقوى فى نفوس كثيرات ثم تختلف آياته وشواهد بااختلاف تلك النفوس. وهنا نبحت عن «مفتاح الشخصية» لنعرف به الفارق بين الإيمان فى طبيعة الملك عبد العزيز وبين الإيمان فى طبائع غيره من الأقوياء، والذى نراه أن « طبيعة الشخصية الإسلامية» فى صفتها المثلى هذه أصدق مفتاح لشخصية الملك عبد العزيز ، الذى قال يوماً يؤكد هذا المعنى :

«إننى أفخر بكل من يخدم الإسلام ويخدم المسلمين ، وأعتز بهم، بل أخدمهم وأساعدهم وأؤيدهم، وإننى أمقت كل من يحاول الدس على الدين، وعلى المسلمين، ولو كان من أسمى الناس مقاماً وأعلاهم مكانة».

وفي ضوء مقومات الشخصية الإسلامية كما نراها في شخصية الملك عبد العزيز، يمكننا أن نفسر الاتفاق الطبيعي بينه وبين الإمام محمد عبد الوهاب في العقيدة السلفية والدعوة الإصلاحية، ذلك أنه رأى في هذه الدعوة خير تجسيد لهذه الشخصية الإسلامية النقية من العوارض التي طرأت عليها عبر العصور، والتي تفسر بدورها ما امتحنت به الأمة الإسلامية من نكبات، تعصى على التفسير والفهم بمنطق الأسباب العسكرية من عدد وعدة، فكان لا بد من التماس الشخصية الإسلامية في جوهرها الحر، بحيث يمكن القول إن الإيمان منوط بالقلب، طمأنينة وعقيدة .

﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ (الرعد : ٢٨)

﴿أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِنْهُ﴾ (المجادلة : ٢٢).

﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبِيبٌ إِلَيْكُمْ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ (الحجرات : ٧)

﴿رَبَّنَا لَا تُرِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾

(آل عمران:٨)

وتأسيساً على هذا الفهم الإسلامي، انطلقت شخصية الملك عبد العزيز لتؤكد دعائم صورة الشخصية الإسلامية في العصر الحديث، يقول الملك عبد العزيز:

«إنني أدعو المسلمين جميعاً إلى عبادة الله وحده، والرجوع للعمل بما كان عليه السلف الصالح، لأنه لا نجاة للمسلمين إلا بهذا وأسأل الله أن يوفقنا جميعاً إلى ما يحبه ويرضاه».

وإذا كان معنى الشخصية من أشد معاني علم النفس تعقداً وتركيباً، فإن «مفتاح» الشخصية يكون أكثر من ذلك صعوبة في البحث عنه في جميع الصفات الجسمانية والوجدانية والعقلية والخلقية في حالة تفاعلها بعضها مع بعض وتكاملها في شخص معين يعيش في بيئة اجتماعية معينة، وقد سبق لنا أن درسنا بعض الجوانب من البيئة الاجتماعية التي نشأ في ظلها الملك عبد العزيز بن سعود، كما أننا درسنا مظاهر عبقرية المكان - والزمان في البناء الحضاري. والمهمة التي تواجهنا الآن هي إعادة النظر

فى جميع هذه الصفات « بطريقة تكاملية لبحث مظاهرها الكلية<sup>(١)</sup> » كما تبدو فى سلوك شخصية الملك عبد العزيز من حيث هو متميز من غيره.

فلدينا إذن نقطتان أساسيتان تتركز حولهما جميع بحوث الشخصية ونفيد منهما فى دراسة شخصية الملك عبد العزيز: الأولى هى شعوره بذاتيته ووحدته، أى صورة الشخصية كما تبدو فى مرآة الذات، والنقطة الثانية هى الأثر الذى تتركه مجموعة الصفات التى تميز بها الملك عبد العزيز فى شعور أشخاص آخرين - عرباً وأجانب - شاهدوا المظاهر السلوكية من الخارج وحكموا عليها، أى صورة شخصية الملك عبد العزيز كما تبدو فى مرآة الغير.

وإذا كانت الشخصية تفوق الفردية فى مدى دلالتها وفضلها، فإنها فى نظر العلم ظاهرة طبيعية تخضع فى نموها وتطورها للقوانين نفسها التى يخضع لها نمو الكائنات الحية وتطورها، ولذلك وجد العلماء صعوبة فى تعريف الشخصية، فنجد أن القاموس يذهب إلى أن الشخصية هى مجموعة الخصائص المميزة للفرد، ونضرب المثل على ذلك بقول «آرثر ميللر»: ليست العبرة بما نقول، ولكن كيف نقول .. ومن المؤلفين من يعرف الشخصية من الجانب الفردي، فى معنى بدراسة خصائص الفرد الجسمية وتركيبه البيولوجي، ومنهم من يتناول الجانب الاجتماعى والثقافى والحضارى، فى حين يركز الاجتماعيون على دور الفرد فى الجماعة وعلاقته بالآخرين، وينظر «آلبورت» إلى الشخصية على أنها التعبير الحقيقى عن الإنسان أو هى حقيقة الإنسان<sup>(٢)</sup>، وبالتالي فهى تتكون من تلك الخصائص والمقومات التى تحدد للفرد سلوكه وتفاعله وعلاقاته مع الآخرين. ويذهب بعض الدارسين إلى تعريف الشخصية بأنها مجموعة أو حاصل الخصائص التى تميز الفرد عن غيره، وتحدد له دوره فى جماعته أو مجتمعه، على أساس أن حاصل خصائص الفرد ليس مجموع هذه الخصائص، أو ناتج إضافتها على بعضها

(١) د. يوسف مراد: مبادئ علم النفس العام، ص ٣٦٣  
ود. على محمد عبد الوهاب: السلوك الإنسانى فى الإدارة، ص ٣٥ G.Allport , Personality (2)  
(N.X:1934).

البعض، وإنما هي تركيبة معقدة تتكون من تفاعل هذه الخصائص، وتحركها أو تغييرها ، وتأثيرها وتأثرها في بعضها البعض<sup>(١)</sup>.

وتدرس نظرية الذات؛ النفس البشرية، وتحاول أن تفسر سلوكها، وفي ضوءها ندرس شخصية الملك عبد العزيز من ناحيتين رئيسيتين : الأولى الذات الشخصية التي تصورها عن نفسه، والتي تتكون من بنائه الداخلي كالقدرات والتصور والإدراك، والثانية هي الذات الاجتماعية التي تعكس للفرد صورته عن نفسه من خلال الآخرين أو المجتمع الذي يعيش فيه ، ولا شك أن هاتين الصورتين تتداخلان في بعضهما البعض، وتتكونان من خلال تدرج الفرد في مراحل نموه المختلفة.

والواقع أنه لا يوجد تعريف واحد - كما تقدم - يوفر للشخصية تعريفاً كاملاً، ولكننا نعرض هنا تعريفاً أكثر شمولاً يقرب ويجمع شتات عدد من التعريفات السابقة بحيث يكون هذا التعريف إلى شرح وتوضيح حقيقة الشخصية أقرب، وهذا التعريف هو الذي يذهب إلى أن «الشخصية هي الكل الديناميكي الذي يميز كل فرد من غيره، والتي توجه سلوك الفرد وتحدد فاعليته في حياته وقدرته على التوافق والتكيف مع بيئته، وهي من نتاج التفاعل المستمر بين العوامل الوراثية والعوامل البيئية التي تؤثر على الفرد منذ ولادته وفي مختلف مراحل حياته»<sup>(٢)</sup>.

وإذا كان الحديث في السنوات الأخيرة قد كثر عن الشخصية وأهميتها للنجاح في أعمال معينة، فإن الإنسانية في تاريخها الطويل شغلت بمقومات الشخصية المؤثرة، سواء في الإبداع، أو العلم أو الدين، أو السياسة، وهنا - عند الحديث عن الملك عبد العزيز - نجد أصدق وصف ينطبق عليه، هو ما عناه «توينبي» حينما تحدث عن «القائد أو المخلص المتقلد حساماً» ذلك أن هذا القائد أو المخلص المرئى لمجتمع متحلل هو بالضرورة مخلص متقلد سيفاً، بيد أن السيف قد يكون ممتشقاً أو مغمداً، وربما يناضل وسلاحه مجرداً، أو يقبع وسلاحه في غمده بعيداً عن الأنظار، مثل المتصبر الذي ألقى بجميع أعدائه تحت قدميه».

(١) المرجع السابق، ص ٣٥

(٢) د. علي أحمد علي، د، محمود عساف، السلوك في مجال العمل، ص ٦١

ذلك أن عبدالعزيز قد ولد أيام النكبة التي لاقتها الأسرة السعودية بسبب الانقسام فيما بينها واقتتال أركانها، فلما رحل والده الإمام عبد الرحمن عن الرياض ليعيش في المنفى مع أسرته، لم يكن عبد العزيز قد تجاوز الحادية عشرة من عمره<sup>(١)</sup>.

وإذا كنا قد تحدثنا في غير هذا الموضوع عن عبقرية المكان، فقد تعرفنا كذلك على أثر الصحراء في شخصية الملك عبد العزيز الذي أمضى الجانب الأكبر من صباه يعيش مع القبائل البدوية على حافة الربع الخالي، يتعلم الفروسية وفنون الحرب والقتال، ويقف على الصلات القائمة بين القبائل ويدرس عاداتها وتقاليدها ونقاط القوة والضعف فيها، كما أمضى جانباً آخر من حياته يدرس مبادئ الشريعة الإسلامية على عالم ديني من علماء القصيم، وفق أسس الإسلام الصحيح.

يقول الزركلي<sup>(٢)</sup>: «في النصف الأخير من رمضان ١٣٠٨ هـ (١٨٩١م) كانت قافلة، عليها مظاهر النعمة والقوة، تضرب في الصحراء. خرجت مشرقة من الرياض، في ميل قليل إلى الشمال، وعلى بعير منها فتى في الخامسة عشر من عمره عليه «صمادة» بيضاء مطرزة، لف بكساء أشبه بالخرج، وهو يسأل: في أي أرض نحن؟ وبجواب: نحن في «الدهناء» يا «عبد العزيز»!

عبد العزيز: الملك المصنّف باسمه هذا الكتاب، ولد في قصر الإمارة والإمامة بالرياض سنة ١٢٩٣ هـ (١٨٧٦م) ونشأ طويل القامة، عريض المنكبين، بارز الصدر، حاد العينين، دقيق الخصر، ضامر البطن، مفتول الساعدين والساقين، رشيق الحركة، وعهد به أبوه - الإمام عبد الرحمن بن فيصل آل سعود - إلى مطوع من أهل «الخرج» كان مقيماً في الرياض اسمه القاضي عبد الله الخرجي، فتعلم مبادئ القراءة والكتابة، وحفظ سوراً من القرآن، وقراه كاملاً ثم تلقى بعض أصول الفقه والتوحيد على يد الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف في كراسة صغيرة أعدها خصيصاً له، إلا أنه لم يكن في طبعه الصبر على الدرس فلم يلبث أن انصرف عن مقاعد الأطفال إلى محاكاة «الرجال».

وينقل عن لسانه: أنه أحسن استعمال البندقية وركوب الخيل كأحد الفرسان، وهو في سن الصبا، وأنه كان في السابعة، حاد الطبع، دائم الحركة، لا يستطيع الاستقرار في مكان واحد فترة طويلة، ولقد تناقل أكثر الكاتبيين عن الملك عبد العزيز في حياته، أنه ولد

(١) أحمد عسة: معجزة فوق الرمال، ص ٤٦

(٢) الزركلي: السابق ٢ ص ٥٧

سنة ١٢٩٧ هـ (١٨٨٠م) حتى أن المؤرخ الأديب خالد بن محمد الفرج وضع حساباً لذلك، بالحروف الأبجدية، وهو :

«الإمام عبد العزيز بن الإمام عبد الرحمن الفيصل آل سعود».

وجاء مجموع هذه الحروف ١٢٩٧ وقويت هذه الرواية بما نقل عن لسان عبد العزيز، من أنه كان غلاماً حينما خرج من الرياض سنة ١٣٠٨ هـ (١٨٩١م) ملفوفاً في كساء أشبه بالخروج .. غير أن المتصلين بعبد العزيز من زمن طويل، يذكرون أنه بما جبل عليه من حيوية، كان يكره أن يشعر نفسه بالاقتراب من سن الشيخوخة أو دخولها، فما زال يكرر أنه يوم هجرته مع أبيه من مسقط رأسه كان ابن إحدى عشرة سنة، ونقل عن لسان الأستاذ الشيخ محمد نصيف قوله : أخبرني الملك بأن ميلاده كان سنة ١٢٨٥ هـ (١٨٧٦م) والحوادث لا تؤيد هذا».

ويضيف الزركلي : «على أني بعد وفاة عبد العزيز ، رجعت إلى أديب آل سعود وعالمهم الأمير عبد الله بن عبد الرحمن. أخى الملك، فسألته ، فأجاب : كان رحمه الله يود أن يقال إن مولده سنة ١٢٩٧ هـ. ولكن الصحيح أنه ولد في أواخر عام ١٢٩٣ هـ (١٨٧٦م).

ورأيت في قيود عندي أنه لما ولد كان أبوه عبد الرحمن في بلدة ضرمي ، ويُشر بولادته ليلة ١٩ ذى الحجة ، فأضفت هذا إلى ذلك، ورجحت أنه الصواب.

ومن مميزاتة الجسمية أنه حمل السيف، ولعب به وركب الخيل وامتطى النباق، والتف حوله رفاق له، فكان المتقدم عليهم في ألعابهم والزعيم فيهم، وعوده والده أن يستيقظ قبل الفجر للصلاة، ووجهه إلى الرياضة وأدبه بأداب آل سعود، وشهد في صباه نتائج الخصومات والمعارك بين أعمامه . وأدرك ما كان من توسع آل رشيد، في الاستيلاء على بلاد نجد، وتضاؤل آل سعود أصحاب تلك البلاد وسادتها ، أمامهم».

قال مؤلف كتاب «ابن سعود ملك البلاد العربية» بالفرنسية<sup>(٢)</sup> : قتل الملك عبد العزيز أول عدو له ، وهو في الحادية عشرة من عمره.

وقال حافظ وهبة : سمعت من بعض أصدقائي الكويتيين الذين عاصروا عبد العزيز

(١) ibn Seuod Roi de l'Arabie تأليف البروفسور أنطوان زيشكال Antoine Ziskal طبع في باريس سنة ١٩٣٤م.

ورافقوه في طفولته (؟) أنه كان يفوقهم نشاطاً وذكاء، وأنه كان يتزعمهم دائماً في الألعاب المألوفة لمن كان في سنه، وأنه كان دائماً يميل إلى سماع تاريخ جده الإمام فيصل ومغامراته، من بعض الشيوخ المسنين بالكويت<sup>(١)</sup>.

وروى خالد الفرج، ما خلاصته: أراد الشيخ عيسى بن علي آل خليفة حاكم البحرين، أن يلاطف «الفتى» عبد العزيز، فسأله: قَطَّرَ أحسن أم البحرين؟ فأجابه عبد العزيز على الفور: الرياض أحسن منهما.. فقال عيسى: سيكون لهذا الغلام شأن..

وأضاف خالد إلى هذه القصة: سمعتها من المرحوم الشيخ عيسى بنفسه، وهو يقصها في مجلس نزهته العصرية ببستان «ريا» في البحرين، وذلك بمناسبة تسليم جدة سنة ١٣٤٤هـ<sup>(٢)</sup>.

ويذكر الزركلي أن محمد بن بلهيد قد حدثه بأخبار عن أولية «عبد العزيز» منها القصة الآتية قال: في أثناء تغرب الإمام عبد الرحمن الفيصل عن الرياض، جلس عشية يوم وحوله بعض خاصته، فجرى الحديث عن أبنائه، فتكلم الحضور وبينهم مانع بن جمعة العجمي (من رجالات العجمان) لم يتكلم، فقال له الإمام: ما ترى يا مانع؟ فقل: إذا أراد الله عزاً للمسلمين، فهو على يد عبد العزيز، قال عبد الرحمن: وما يدريك؟ قال: رأيت فتیان الحیّ يتهيأون ليلعبوا «اللّحي»<sup>(٣)</sup> وقد انقسموا فريقين، فسمعت أكثرهم - ومنهم بعض أبنائك - يقول: من أنا معه؟ وسمعت عبد العزيز يقول: من هو ممي؟..

وقال فؤاد حمزة: سألت الملك عبد العزيز عما إذا كان تقابل مع محمد بن رشيد، فقال: نعم، قابلته وعزاني في أخي فيصل<sup>(٤)</sup>، وقال لي: عسى أن يجعلك الله عوضاً عنه<sup>(٥)</sup>.

(١) خمسون عاماً في جزيرة العرب، ٢٧

(٢) مخطوطة خالد الفرج.

(٣) اللّحي: بفتح اللام وسكون الحاء، من ألعاب فتیان نجد وصبيانها، ينقسمون جماعتين ويقفز أحد الفريقين فيلطم شخصاً من الفريق الثاني وينهزم فينبهه الملطوم، والكلمة عامية لعلها من «التلاحي» الذي هو التنازع.

(٤) توفي فيصل بن عبد الرحمن في أواخر سنة ١٣٠٧هـ - ١٨٩٠ م.

(٥) البلاد العربية السعودية، ٧

وعرفنا أن عبد العزيز، كان أحد الثلاثة الذين انتدبتهم الرياض لمفاوضة ابن رشيد وعقد الصلح معه، في أوائل سنة ١٣٠٨هـ (١٨٩٠م)<sup>(١)</sup> وهي مشاركته «السياسية» الأولى في مثل هذا الاجتماع الخطير.

ويشير بعض من كتب عن عبد العزيز، إلى ما كان لوالدته «سارة بنت أحمد بن محمد السديري» من فضل في توجيهه، وكانت من أكمل النساء عقلاً وتدبيراً، ويروى لها شعر من الملحون، توفيت في أواخر عام ١٣٢٧هـ (١٩١٠م) بالرياض، وهي من أهل بلدة الغاط في سدير، بجوار الزلفي، كان أبوها من حارب إبراهيم باشا، وولاه خُرُشيد<sup>(٢)</sup> وخالد بن سعود سنة ١٢٥٤، إمارة الأحساء فاستمر إلى أن توفي سنة ١٢٧٧هـ (١٨٦٠م) ويقال له أحمد الكبير<sup>(٣)</sup>.

ومن ذلك يتضح أن الملك عبد العزيز قد اتسم بمقومات جسمية، ومقومات عقلية تتمثل في الذكاء والقدرات العقلية الخاصة، ومقومات وجدانية وعاطفية ومقومات بيئية، تمثل الجوانب المكتسبة والمستلهمة من مقومات الشخصية الإسلامية.

وإذا كان من العسير وضع قائمة تشمل جميع السمات التي تجسم لنا باجتماعها وتكاملها هيئة شخصية الملك عبد العزيز بكليتها، فإننا سنجد أنه قد اتسم بمميزات جسمية وأخرى حركية وعقلية ومزاجية واجتماعية.

وبالفطرة التي فطر عليها، تمثل من تاريخ الفتوحات الإسلامية ما يحسن بالجندي المسلم في بدنه وطعامه، وكره ما ليس بالمستحسن فيه، فتمثل قول عمر: «إياكم والسمنة فإنها علة» وقوله: «إياكم والبطنة فإنها مكسلة عن الصلاة ومفسدة للجسم ومؤدية إلى السقم، وعليكم بالقصد في قوتكم فهو أبعد من السرف وأصح للبدن وأقوى على العبادة».

ولذلك اتسمت شخصيته جسمانياً بالقامة والقوة والصحة والوسامة، وظل محتفظاً بهذه السمات الجسمية طوال حياته، يقول الأستاذ عبد الله حسين - في سنة ١٣٤٤ هـ -

(١) أرخها الريحاني في «تاريخ نجد الحديث» ٨٩، سنة ١٣٠٧ وقال: كان عبد العزيز يومئذ في الحادية عشرة من عمره، قلت: «ولا يعقل أن يشارك في اجتماع كهذا من كان في تلك السن».

(٢) اسم تركي معناه «الشمس».

(٣) الزركلي: السابق ص ٦١.

إن «هذه البنية المتينة منحة إلهية موروثه من الآباء والأجداد ، أما الاحتفاظ بها فراجع إلى نظام معيشته، فجلالته منذ الصبا لا يكثر من ألوان الطعام ولا يحب الدسم ولا الحلوى ويقصر غذاءه في معظم الوجبات على الأرز واللحم الناضج كل النضج. ويحب من الخضر «البامية» خاصة ولكنه يكتفى منها بمرقها وقد يشرب قليلاً من الماء على الطعام يحمله خادمه الأمين «مرجان» في كوب طويل ويقف به وراء جلالته ما دام على المائدة ويفضل جلالته فيناول الكوب من يختصهم من ضيوفه.

«وجلالته منذ عشر سنين<sup>(١)</sup> لم يشرب ماء من غير عين «الجمرة» في الحجاز وعين «البديعة» في نجد وهو ماء صاف سائح المذاق يحتوي على بعض الخصائص المعدنية التي تساعد على هضم الطعام».

«وربما استغنى جلالته عن شرب الماء بشرب اللبن المخيض بعد الغداء فيطلبه جلالته أحياناً ويتناول منه جرعات ويأمر به لمن حوله من الضيوف، وهو غذاء طيب الطعم مفيد للجسم، قال الطبيب العالمي المشهور «متشيكوف» إنه من أفضل الأغذية لتطهير الجهاز الهضمي، وذكر أن أمم البلقان يواظبون عليه. وينكر جلالته بالإفطار ويأمر بالغذاء في الساعة الثانية عشرة ظهراً، ولا يتأخر عشاؤه عن الساعة السادسة في المساء» وقال الحقييل إن للعادة دخلاً كبيراً في ذلك، فقد عاش جلالته عشرين سنة على ظهور الإبل وظل أثنى عشر عاماً منها يقطع الليل في الهجوم مع أصحابه على الأعداء لا يأكلون إلا التمر<sup>(٢)</sup>.

وملابس الملك عبد العزيز «بسيطة جداً في الصيف من القماش القطني والكتاني الأبيض، ويزيد عليها في الشتاء ملابس صوفية فوق الجسم. وفوق الملابس الخارجية يزيد من الصوف، ويرجع نوعاً من القماش الأبيض، وفي أيام الجمع يلبس عباءة بيضاء ومثلها الفترة .

«ويكثر الملك من الاغتسال في أيام الصيف وقد يغتسل ست مرات، وفي الشتاء لا يقل سبوحه عن مرتين في اليوم ويحتذى النعال في الصيف والأحذية في الشتاء.

(١) أي منذ سنة ١٣٣٤هـ.

(٢) المرجع نفسه، ص ١٠٨.

«ويتختم الملك بخاتم فضى له فص من العقيق نقش عليه اسمه كما يأتي :  
«عبدالعزیز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود»<sup>(١)</sup>.

ومن مميزات الملك عبد العزيز الجسمية ، طول القامة، وصحة الجسم. وكان أسمر اللون مهيب الطلعة، تتجلى بساطة مظهره في ملبسه ومأكله ومشربه، وسائر أحواله المعيشية ويضيف في وصف مميزات، الشيخ حمد بن إبراهيم الحقييل<sup>(٢)</sup>، أن عبد العزيز رحمه الله كان «مفتول الساعد شديد العصب قوى القلب متناسق الأعضاء أسمر اللون ذا لحية مستديرة يلبس في الصيف أثواباً من الكتان وفي الشتاء قنابر من الجوخ تحت عباءة بنية في الغالب. يحب الطيب ويحمل عصا الشوحط، له أنامل طويلة وعينان عسلتان تنيران أماكن العطف واللطف ساعة الرضا وتضمران في كلامه ساعة الغيظ نار الغضي، هو خفيف الروح حلو النكتة لطيف التهكم، وحد الجزيرة العربية وجمع أشتاتها وقد وهبه الله بسطة في الجسم ويسطة في العلم فكان في ذلك آية، خاض أكثر من مائة وخمسين معركة ولما مات وجد على جسمه ثلاث وأربعون ندبة وأثر جراح، كان عبقرياً تمثل فيه قوى الصحراء كلها وحسب الإنسان أن يفكر في مغامرة الرياض التي أتمها بقبضة من الفرسان وأثر عنه أنه يقول لما كنت على شيء من الضعف كنت أكثر ما أكون من جراءة. وعرفت أنني أصبحت الأقوى لما شعرت أنني أكثر أناة وحكمة، وقال مرة إذا وفق الله أولادى فسوف يتولون مقدرات مائة مليون.

وذكر كثير من المؤرخين العرب وجاراهم في ذلك أكثر مؤرخى الغرب إلى أن عبد العزيز عنزى من قبيلة عنزة المشهورة بالقوة والكثرة فمن مؤرخى الإحساء ومؤرخ الكويت العزاوى فى العراق وفؤاد حمزة فى كتابه قلب الجزيرة، وعمر رضا كحالة فى مؤلفه معجم قبائل العرب وكتابى الحقييل زهر الأدب وكنز الأنساب ونص على ذلك مؤلفون كثيرون واتفقوا أن آل سعود من أصل عريق يتحدر من ربيعة الفرس أى نبيل أصيل، ومن مؤلفى الغرب بوركارت والمستشرق لاوست ونص أمين الريحانى فى بعض مؤلفاته أن ال شعلان وآل هذال العنزىين بنو عم عبد العزيز وقال إن عبد العزيز

(١) فؤاد شاکر : دليل المملكة العربية السعودية ، ص ٢٠ .

(٢) حمد بن إبراهيم الحقييل : عبد العزيز فى التاريخ ، ص ١٥ .

صرح بذلك في مجالسه ، وقال السيد «هج بريد جنس» إن القبيلة التي ينتمى إليها عبد العزيز هي عنزة، وفي التقرير الحديث الذي وضعته المخابرات البريطانية « قال إن جد الملك عبد العزيز من الأحسنة من عنزة نسب عريق نبيل» وفي كتاب دوتى « ومن الأحسنة الأسر الشهيرة من أمراء نجد الشرقية أبناء سعود » قال بعض الكتاب ولد عبد العزيز في الرياض عاصمة أجداده فرأى عمومته يتنازعون الملك ويتحاربون ورأى العدو على باب العاصمة ، وهو يطمع في الاستيلاء على نجد أجمع، ورأى أباه يحارب في الواقعة الأخيرة ويستسلم إلى الله ثم سمعه وهو جالس إلى جنبه في الإحساء يرفض شروط الدولة العلية، فسدت أمامه الأبواب كلها إلا الباب إلى الصحراء. فلجأ إلى خيام الشعر وهو مثل أصحابها لا يمتلك متراً من الأرض وليس له غير تلك الثقة الوطيدة العالية، الثقة بالله التي هي كنز الأعرابي الأكبر، ثم سكن الأب الكويت وصار الصبي شاباً ، فكانت الذكرى الأليمة رفيقة أفكاره وسميرة أحلامه، قرأ شيئاً من العلوم هناك وهو يفكر في الملك المفقود، وجلس أمام البحر وهو لا يدرى إلى أين تحمله الأقدار، ثم نظر إلى البادية وهو يهجس بالملك المفقود، عاشر العلماء والأمراء وجلس ساكناً متأدباً في مجلس الشيوخ ، وهو يحلم بالملك المفقود، فتح الكتاب ثم ألقاه جانباً وهو يرمق السيف بنظرة كلها شوق وأمل، عاش مجهولاً فى الكويت مجهولاً إلا فى الاسم والنسب، وفيما يبدو للعين المجردة فقد كان الناس يعرفون أن ذاك الشاب القوى البنية الطويل القامة البراق العينين هو عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل، وما كان كبار القوم فكراً وسياسة وفراسة ليعرفوا أكثر من ذلك ، بل كانوا كلهم فى ظلال سور الغيب، جهلوا ما كان يجهله حتى أقرب الناس إلى عبد العزيز، حتى أبوه وأمه جهلوا ما كان يجهله التاريخ، جهلوا ما كان يجهله الشاب نفسه، جهلوا ما لم يكن يعلم به إلا الله عز وجل .

ولقد تميزت شخصية الملك عبد العزيز بمميزات حركية، ترتبط بمميزاته الجسمية، وتشتمل على ما اتسم به من جلد ومثابرة ومهارة وحذق، إلى جانب ما اتسم به من مميزات عقلية ظهرت فى قدرته على مواجهة المشكلات، وعلى التعلم والتذكر ، والتخيل الإبداعي ، وحصافة الرأى وسلامة الحكم، وقدرة عامة على التكيف .

والحق يقال ، على حد تعبير الأستاذ محي الدين رضا: « إن الملك عبد العزيز من أعظم رجال العالم قديماً وحديثاً، فى التدبير وإحكام الخطط والدهاء، وهو رجل عرف بالسهولة، فهو سهل فى أعماله ، سهل فى كلامه ، سهل فى بساطته، يلقي على مجالسيه درساً فى الدين والحكمة بعبارات هى السهولة بعينها وحقيقتها، تدلك على ذكاء حاد، وبعد نظر منقطع النظير، وعزيمة حديدية.

وتتجلى لك بساطة مظهره عندما تلقاه، فهو بسيط فى ملبسه ومأكله ومشربه، وسائر أحواله المعيشية ، وهو فوق ذلك صريح فى خطابه لك، فهو يصرح بأنه لم يدخل المدارس والجامعات ولا تعلم هندسة الكلام والتلاعب بالألفاظ، ولكن لا يبعد ذلك عنك أنه تلاعب بالممالك والبلدان، وكسب ما أرادته بأقل ما يمكن من الرجال، وسفك الدماء، وعلم الأسانذة والعلماء، أعظم درس فى قوة الإرادة، وكيفية النجاح من أقرب سبيل وأحكمه.

وإذا كان من المقرر، أن الفرصة تمر بسرعة ، وأنه من المتعذر على غير الرجل الحازم اليقظ أن يهتبلها، تبين لنا أن عظمة هذا الملك الهمام، لم تأت من باب المصادفة ، وتحين الفرص، وإنما أتت لأن جلالته فكر ودبر، ودرس وسعى ، عمل بعد ما استخار الله واعتمد عليه جل جلاله ، فسهل له ما كان عسيراً، وبذلك استرد ملكاً ضيعه أهله، فأعاده وزاد عليه، بحكمته وفروسيته وحلمه وشجاعته.

وإذا اعتقد كثير من أبناء هذا العصر، أن الظروف والفرص هى التى تسبب النجاح للنجاحين، فإننا نعلم علم اليقين والخبرة، أن الملك عبد العزيز امتاز بمميزات عظيمة جعلته يوجد الفرص ويسقنتصها ، وبذلك كل صعوبة وسيطر على كل عسير بما امتاز به من إرادة قوية، وتصميم محكم، لا يتطرق إليه الضعف ولا التردد ، ولا يعرف الجبن ولا الهوادة ولا الخور.

امتلات نفس الملك عبد العزيز بالتدين، والأسوة الحسنة ، التى اقتبسها من سيرة النبي ﷺ والخلفاء الراشدين ، وسائر عظماء قواد المسلمين رضى الله عنهم، بما قرأ من تلك السير ، وحدث عنها، وضم إلى ذلك إرادة قوية ، واعتماداً على النفس، التى تنزهت عن

الهوى ، وتعلقت بالله عز وجل ، وأخلصت للعزة الإلهية النية والعمل ، ففاز أيما فوز ، وصار مضرب المثل فى فوزه ، وسعة ملكه وإحكام سلطانه .

وكون الملك عبد العزيز لنفسه منذ صباه خلقاً متيناً ، ومبادئ شريفة ، بما اقتبس من دراسته ، وألعاب الفروسية ، وما إليها ، مما بعثه فيه نفسه العالية ، وتدبته وتجوله فى الصحارى ، التى سارت فيها النبوة الطاهرة ، تلك الصحارى التى تبعث فى النفس الرهبة والهيبة والجلالة ، والإيمان بعظمة الخالق ، ومقدار سلطانه على النفس .

جلس الملك عبد العزيز ، يفكر فيما كان عليه آل سعود من عز ومجد ، وما صارت إليه حالتهم فى إبان صباه ، وعزفتونه ، بعد ما طاحت بملكهم الأيام ، وصاروا مشتتين فى البلدان ، وضيوفاً على غيرهم ، وقد اشتهروا هم فى أيامهم ، بإضافة الضيوف ، وإكرام كل محتاج ، فعز عليه ذلك ، وانبعث الطموح فى نفسه العالية ، وصادف ذلك الطموح قوة حديدية ، وميلاً عظيماً إلى الكمال وهو الفتى القوى وصاحب الإرادة الفولاذية .

أراد الله - سبحانه وتعالى - أن يخلق من الفتى عبد العزيز ، شخصية ممتازة بالثبات وعدم التردد ، فاطرح الكسل والإهمال ، وعمل أعمالاً سجلت اسمه فى صفحات المجد ، وجعلته من الذين يقدرون ما يريدون ويميلون إرادتهم على من يشاءون ، وساعده على ذلك ما امتاز به من ذكاء نادر ، وما تمتع به من حزم ، مما جعل ذلك الفتى يذلل كل صعوبة ، وجعلت أعماله الغر الميامين ، تندفع كالشهاب الثاقب للنور والإصلاح ، وليس للتخريب والهلاك ، وإذا اجتمعت الإرادة والذكاء وعززتهما الشجاعة ، وتحلى صاحب كل ذلك بالدين ، والإخلاص لله عز وجل ، اندفعت من هذه القوى جحافل العظمة ، فمهدت الوسائل والأسباب ، وجعلت العالم ينظر إلى أعمال البطولة ، نظرة الإعجاب والإجلال ، وأن البطل الجدير بلقب البطولة ، هو الذى إذا قرر عملاً ، بعد تثبته من صحته ، اندفع إليه كالسهم الصائب ، لا يلويه عنه شيء مطلقاً ، فالبطل لا يعرف التردد ، مهما اعترضه من صعوبة وهل يعرف أبناء هذا الجيل ، أن صعوبة ما ، استطاعت أن تقف فى طريق ملك المملكة العربية السعودية ، الملك عبد العزيز آل سعود ، منذ ما اندفع كالسيل الجارف ، وهو فى سن الفتوة لاسترداد ملك آبائه؟! لقد كان هو البطل الموفق ، فى جميع أعماله ومشروعاته ، منذ نعومة أظفاره ، حتى لحظة وفاته ، وذلك من فضل الله على

مملكته، وعلى سائر بلدان العروبة والإسلام، وهو حامى حمى الحرمين، ومؤمن الحجاج على قبلتهم ومهوى أفئدتهم».

وترتبط بميزاته الحركية والجسمية، قدرته على التكيف ومواجهة المشكلات، وهذه المميزات الحركية والجسمية هي التي جعلت موظفى «الديوان الملكي» يقولون إنهم قد يضبطون ساعاتهم على تنقلات الملك وأعماله اليومية المعتادة، كخروجه من قصره الداخلي، وعودته إليه، وجلوسه للنظر فى الأعمال، وقيامه للنزهة، وابتدائه السهرة، وغير ذلك، فهو من أشد الناس، بل أشدهم محافظة على برنامج عمله، حتى فى أسفاره وأيام كانت مطاياها ظهور الخيل والإبل<sup>(١)</sup>.

«اعتاد أن يستيقظ قبل الفجر بنحو ساعة، فيقرأ سوراً من القرآن الكريم، ويتمتع ويتعبد، وكثيراً ما يُسمع له نشيج، ويستمر إلى أن يؤذن الفجر، فيصلّى الصبح مع «الجماعة» ويسبح ويقرأ ورد الصباح، ويدخل فيضطجع إلى أن تشرق الشمس، وينهض فيغتسل ويلبس ثيابه ويفطر، ثم يخرج إلى المجلس الخاص فتعرض عليه مهام الحكومة فى فترة غير طويلة، يأذن بعدها بالمقابلات الخاصة لكبار الزوار، ثم ينتقل إلى المجلس العام، حيث يدخل كل من يريد مقابله ويمكث نحو ساعة، فإذا اقترب وقت الظهر نهض للغداء، ومنه إلى القصر فيستريح قليلاً، ثم يصلّى الظهر مع الجماعة، ويعود إلى مجلسه الخاص، فيعرض عليه ما تجدد من الشؤون العامة، إلى صلاة العصر، ويجلس بعدها لإخوانه وأولاده وأقاربه وكبار الموظفين، ثم يخرج بسيارته إلى ظاهر المدينة للرياضة، ويعود بعد صلاة المغرب».

وبعد العشاء يجلس فى مجلس شبه عام، وهناك يحضر «القارى» فيتلو فصولاً من كتب مختلفة فى الحديث والتفسير والتاريخ والأدب، كما تقدم، وبعد قليل، يدخل قارى الإذاعة العربية فيتلو ما التقط من محطات الإذاعة الشرقية من متنوع الأخبار، ويأتى بعده قارى الإذاعات الأجنبية، وقد ترجم أهم ما أذيع ويتكرر دخول قرأء الإذاعات فى الضحى، وبعد العصر، والهزيع الأول من الليل.

(١) الزركلى : السابق ص ٦١٩ وما بعدها.

«وفي نحو الساعة الرابعة عريية (العاشرة زوالية) مساء ينفض المجلس بنهوض الملك عائداً إلى القصر، بعد أن يتلطف بكلمات، يختمها بتحية الجميع : السلام عليكم».

وفي كتاب «الملك ابن السعود» عادات وصفات ما خلاصته عن حاله في بدء عهده : إذا كان عبد العزيز في غزوة، فخيمته البسيطة التي لا تختلف كثيراً عن خيام جنده هي بيته، وكل فراشه فيها قطعة من الصوف تفرش على الرمل.

وإذا نام فرقيقه في نومه سيفه ، أيسر حركة توقظه ، بل تحمله على أن يتصرف كأنما هو في أتم يقظته.

«وقد عودته حياة الكرّ والفرّ أن يستيقظ من نومه فجأة، ليثب على جواده المربوط عند باب خيمته، ثم يتطلق كالريح إلى حيث يريد.

وهو في أشد الساعات برداً، يكره إيقاد النار بجواره للتدفئة.

وإذا تحدث، فهو يتحدث بسرعة عظيمة، ومن لم يكن نجدياً لا يكاد يفهم ما يقول إلا بمشقة.

وقد تراه في ساعات العمل، بينما يحدث هذا يلتفت إلى ذلك ويقول له كلاماً ثم يعود إلى الأول، فيستمر في الحديث معه من النقطة التي ترك الكلام عندها.

وذاكرته قوية، فهو لا ينسى شخصاً ولا ينسى قولاً، مهما يظل عليه الزمن.

وهو مع سرعة حديثه، محدث بارع، مرتب الأفكار، حاضر البديهة سريع الخاطر، وأمره الشفوي هو بمثابة «المرسوم» المسطور»<sup>(١)</sup>.

وقد أدت هذه المميزات في شخصية الملك عبد العزيز إلى أن يؤرخ الناس بوقائمه كما يذكر الزركلي:

١- سنة الأشعلى.

قال ابن بلهيد<sup>(٢)</sup> في حديثه عن «الأشعلى» : وهو أكثبة رمال متراكمة، قرب «نواضر

(١) الزركلي : السابق ، ص ٦٣٧.

(٢) صحيح الأخبار ٥ : ١٧٣.

«نواضر السّبي بين القصيم وحائل ، في شمالي نجد، دارت فيها معركة بين الملك عبد العزيز، وسعود بن رشيد وهُزمَ ابن رشيد، وكانت المعركة ليلاً، في ٥ ربيع الأول ١٣٢٧م (١٩٠٩/٣/٢٩) ولم يزل أهل نجد يؤرخون بها، يقولون : حدث كذا سنة الأشعلي، وحدث كذا بعدها أو قبلها، كعادة العرب في كبار الأحداث.

## ٢- سنة المشقوق.

وقات أيضاً<sup>(١)</sup> ما مؤداه : أعمار الملك عبد العزيز سنة ١٣٣٠ هـ (١٩١٢م) على إبل للحفّاء، وهم بطن من الروقة من عتبية، في موضع يسمى «مشقوق الخلف» فساق الإبل «نكالا لهم» فأصبح تاريخ هذه السنة عند الروقة «سنة المشقوق» وإذا سألتهم : أي مشقوق؟ قالوا : الذي أخذ به ابن سعود الحفّاء.

## ٣- ذبحة ابن رشيد

وظلت البادية زمناً، تؤرخ بذبحة ابن رشيد (عبد العزيز بن متعب) وكان مقتله في معركة مع ابن سعود سنة ١٣٢٤ (١٩٠٦م) وقد تقدم خبرها<sup>(٢)</sup>.

## ٤- يوم ابن رفاة .

ومثل ذلك : يوم «ابن رفاة أباد فيه عبد العزيز جمّع حامد بن سالم بن رفاة، في سفح جبل «شار» على مقربة من «ضبا» في ٢٦ ربيع الأول ١٣٥١ هـ (١٩٣٢م)<sup>(٣)</sup>

## ٥- يوم السبلة

ومثله يوم «السبلة» في ناحية الزلفي، قضى فيه عبد العزيز على جموع الغلاة من «الإخوان» في ١٩ شوال ١٣٤٧ هـ (١٩٢٩م)<sup>(٤)</sup>.

أرخ قلب الجزيرة بهذه الوقائع وأمثالها، وذلك شأن البادية والأفذاذ من فرسانها، ليس في جزيرة العرب وحدها، ولا في أيام عبد العزيز وحده بل في مختلف الأقطار والمصور.

(١) صحيح الأخبار ٤: ٢٦٩.

(٢) انظر الصفحة ١٦٩-١٧٢.

(٣) انظر ٥٥٧.

(٤) انظر ٤٨٨.

وهذه صورة رسمها عبد الرحمن عزام<sup>(١)</sup> بقلمه للملك عبدالعزيز تكشف عن  
مميزاته الجسمية والحركية والعقلية بقول :

«نشأ مطارداً فى أرض آبائه وأجداده، فعلت همته على مصائب الدهر، فصارع  
خصومه، واعتمد على الله، ثم على خلق قويم ونفس سمحة، وعزة فى دهاء، وشدة فى  
حلم ورحمة، فجمع جزيرة العرب التى لم تجتمع إلا فترات قصيرة بعد ردتها أيام أبى  
بكر رضى الله عنه، وأمنها وترجع فيها، وليس فى يده إلا سيفه وكتاب الله عدته، وقد  
عرفته منذ قرابة ثلاثين سنة : هو هو الرجل الذى يملأ سمع الدنيا وبصرها.

كان متعدد الجوانب كامل الرجولة، لا أعرف أن أحداً التقى به من خصومه أو مواليه  
إلا أثر فيه بشخصيته التى لم يجد التاريخ إلا استثناءً يمثلها.

عرفته وهو لا يملك من المال لإدارة هذا الملك الواسع إلا الكفاف.

وعرفته والدنيا تفيض بين يديه خيراً وبركة، فلم يكن إلا عبد العزيز بن سعود.. ولد  
سيداً ومات سيداً.. يعطى كل ما يملك من القليل، ويعطى كل ما بيده من الكثير.

لا يعرف المن والأذى. كان رجلاً، إذا أخذت الأمور على طبائعها فإنه ليس إلا شيخاً  
كبيراً فى قوم من البدو.

بلاؤه ومن فيها تعيش فى القرون الوسطى، ولكنه بشخصيه وبما أودع فيه من مهابة  
واستقامة وروح شعاعة، استطاع أن يلفت أنظار الدنيا كلها إلى شخصه ، ثم إلى وطنه ،  
ثم إلى العرب كافة.

لم يكن يملك جيشاً ولا مالاً ولا سلطاناً يساوى شيئاً مما كان لشخصه فى النفوس، فى  
العالم الجديد والقديم.

كانت قوته فى إدراكه العميق للب المشاكل، وإلهامه للصواب فى حلها، وتوفيقه فى  
أن يعتمد على مشورة من يتفرس فيهم من الرجال أولسى العزم والصدق فكان حسن  
الاختيار فى أعوانه، ولا يطلب من هؤلاء الأعوان أن ينزلوا عن قدرهم إلا كما ينزل

(١) من مقال له بعد وفاة الملك «عبد العزيز» نشر فى جريدة المصرى ، بالقاهرة فى ١٢/١١/١٩٥٣.

الولد المحب لأبيه، فكان أمره شورى لا أعرف أنه صدر في مشكلة برأى قبل أن يقلبها مع أولى الراى فى قومه، بل وكثيراً خارج بلاده وقومه.. فأوتى الحكمة فى تصرفاته، حتى ظنها الناس سعداً له وحظاً موفوراً. ولا أعرف رجلاً كعبد العزيز، جندياً سال دمه مقاتلاً، يمتلئ بالرحمة لأعدائه وقد انتصر عليهم فتاريخه كله سلسلة من الفروسية والرحمة لخصومه.

كنت فى سنة ١٩٣٨ ضيفاً له، فى شمال نجد، وبقينا أياماً فى البادية للقنص، وكلما جلسنا إلى طعام وجدت حوله من قاتلوه.. أو قاتله آباؤهم، يرحون معهم ويشاركهم فى قوته وماله ومتاعه، وهو يتفكه بقصصهم وقصص آباؤهم معه، والهزائم التى ابتلى فى قتالهم، والنصر الذى آتاه الله عليهم، ويقسم أنه يراهم كما يرى أبناءه، ولا يرضى فيهم إلا ما يرضى فى أبناءه. وفعله معهم هذا، أكبر دليل على صدقه، فقد عاش أمراء جزيرة العرب وشيوخها الذين استولى على ملكهم، أعزاء فى كنفه، تحميمهم كلمة التوحيد، وتصون حقوقهم تلك الروح التى لم يجد الزمان بمثلها، روح عبد العزيز السامية وعقله الكبير وحلمه ونواضعه وخوفه من الله سبحانه وتعالى.

كان روزفلت طاغية يصرف الأمم ويملك كنوز الأرض، وقع فريسة لليهودية العالمية، سنين طويلة، يتصرف فى شؤون العرب وفلسطين وفق أهواء الصهيونية العالمية، حتى التقى بآبن سعود، على باخرة فى الإسماعيلية بقناة السويس، فحدثه ثم شدّ يده وعاهده على ألا يعمل فى حياته ضد المصلحة العربية، وأنه لن يعمل عملاً قبل مشورة العرب، والتقيت معه بعد ذلك بيوم، فى أوبرج الفيوم، فأخبرنى بما كان بينه وبين روزفلت، وما ظننت أن روزفلت يصدق حتى تجلت لى الأمور فى أميركا بعد ذلك بسنين وعلمت أن روزفلت خرج من لقائه لعبد العزيز بن سعود وهو شخص آخر بالنسبة لشعوره وفكره نحو العرب، وقد يكون من سوء حظ العرب أن روزفلت لم يعيش بعد الحرب.

ولم يكن عبد العزيز بن سعود وقتئذ يملك الجيوش ولا الأموال ولا فاض على بلاده زيت الجزيرة..، ولكن شخصية عبد العزيز، قبل كل شيء، هى التى جعلت من مثل روزفلت وتشرشل وحتى هتلر، قبل ذلك، وموسولنى طلاباً لودّه فخورين بالصلات التى يقيمونها معه.

ولا أعرف أجنبياً في أوروبا، أو أمريكا، سياسياً، أو عسكرياً أو تاجراً أو صحفياً قابل  
عبد العزيز بن سعود، ولم يترك في نفسه أثراً باقياً على مر الأيام.

استلم ملكاً ضائعاً فجمعه، وبلاداً خربة فعمرها، وأمنأ مباحاً فأقره، وشعباً جانعاً  
ففاض بين يديه الرزق، فهو ليس رجلاً عظيماً فحسب، ولكنه رجل مبارك كذلك، فقد  
كان ما بينه وبين الله عامراً..»

ومن آثار مميزاته الجسمية والحركية والعقلية أنه كما يقول الزركلي<sup>(١)</sup> لا يلقى القول  
جزافاً، وقد سُمع في مناسبات متعددة يقول إنه لا يرى نفسه أكثر من «أب» لأسرة  
كبيرة - هي شعبه - وإنه مسؤول عن هذه الأسرة أمام الله .

وإذا عرفنا من سيرته، في الأيام العصيبة على الخصوص، كالحربين العالميتين، وأيام  
انحباس الغيث عن رعاياه، أنه كان يبادر إلى ما في خزائنه الخاصة وخزائن الدولة من  
مال، فيأمر بالإنفاق منه على إطعام القبائل المجذبة أرضها، وعلى الأفران تمون بالدقيق  
لتوزيع العيش (الخبز) على أهل المدن مجاناً، لم نشك في أنه يعنى ما يقول من أنه «أب»  
لأسرة.

وهو يعبر عما في قرارة نفسه، حين يكرر في خطبه القول المألوف «الملك لله وحده»  
فيقف عند كل كلمة منها، متجرداً أمام ربه من صفة «الملك» وقد أعقبها في إحدى  
خطبه، بقوله: «وما نحن إلا خدم لرعايانا..».

كان الملك عبد العزيز يصغى إلى الكبير والصغير من شعبه، يستمع إلى أحاديثهم  
ويشارك المسرور منهم في سروره، ويتوجع لألم المحزون، فينسون أنهم بين يدي ملك  
«يتمتع بحقوق السيادة» ولا يشعرون إلا بأنهم بين يدي «أب» .

ويذكر الأستاذ محي الدين رضا عن الملك عبد العزيز، أنه كان يمثل روح الأبوة في  
قومه وعشيرته وشعبه، بأجلى معانيها، بل إن أبوته الصادقة، كانت تتجلى منه على  
حكومته كذلك؛ إذ كان ينظر إلى كبار موظفي المملكة وصغارهم، من الذين لهم ارتباط

(١) الزركلي : السابق.

بجلالته، يجعلهم يمرون من حوله، ويقع بصره عليهم، كأبناء له، يخاطبهم على هذا الأساس، ويوجههم عليه كذلك، وإذا احتاج لأحدهم فى أى ساعة من ساعات النهار أو الليل دعاه إليه. وحدثه الحديث اللازم، وأفضى إليه بالمعلومات المناسبة، وهذا فعل والد الأسرة مع أولاده وليس فعل رئيس لمرؤوس.

أما كرمه فى إبان الحرب الضروس الماضية، فحدث ولا حرج ، وما ظنك بملك اشتهر بالكرم، وتحديث بكرمه الخاص والعام، وقد تعود أن يعطى الأعطيات الكثيرة فى زمن السلم، وإبان الرخاء، وأن يمد موائده فى كل مكان للجائع والمسكين فكيف به وقد اشتدت الأزمة فى العالم، وقلت مقدرة الناس على الشراء؟ فقد بلغ من إيثاره للشعب، أن منع نفسه وحاشيته الخاصة من أداء فريضة الحج فى إبان الحرب، وحسب ما يتفقه عادة فى هذه الرحلة، وهو مبلغ كبير ، وأمر بأن يتفق على المحتاجين فى بلاده الواسعة، ولا سيما فى الأرض المقدسة، وأخذ يفكر فى تنظيم الإحسان الذى يضمن به تغذية الشعب، فهدته فطرته السليمة ، إلى أمور: منها أن يرتب صرف خبز يومياً للمحتاجين ، ونفذ أمره الكريم، مدة أربعة أعوام. ولما سمع الشكايات من كيفية التنفيذ، أشرف على الأمر بنفسه، فى مدة موسم الحج ، فأحضرت أمامه كمية من الدقيق، وعجنت وحسب كمية الخبز منها، وأمر بإحضار كمية من الحبوب، فطحنت وعجنت وخبزت، وأحصى النتائج منها، وبذلك ارتاح إلى أن ما يأمر به جلالته من الصدقات، يوزع من غير ظلم على المحتاجين، بشكل رضيت له نفسه العالية.

ومما يصح أن يذكر هنا، أن بعضهم شكوا إلى جلالته من أن الصدقات يصل كثير منها إلى غير المحتاجين، فقال : «إنى لا أمتنع خبزى عن أحد ممن يقبله، ولكننى أشدد فى أن يصل كذلك إلى المحتاج، وإلى كل من يقبله من فقير ومحتاج وغيرهما، فأنا أود أن يدخل خبزى إلى منزل كل محتاج<sup>(١)</sup> .

بل إن عبد العزيز كان حريصاً على أن يلحق أبناءه الصفات العربية الأصيلة، ومن ذلك ما يذكره الزركلى أنه «بينما كان فى إحدى نزهاته بالرياض ، ومن خلفه فى

(١) المرجع نفسه ، ص ٣٠.

السيارة: أخوه الأمير عبد الله بن عبد الرحمن والسيد حمزة غوث، وأنا، ومعنا أحد صغار أبنائه الأمير «عبد المجيد» وستة يومئذ حول الخامسة، أعطاه عبد العزيز قبضة من الأريل، وارتقب ماذا سيفعل بها، وبدأ عبد المجيد يلعب بالأريل.. فقال له: اعط إخوانك يا عبد المجيد، فوزعها علينا، ونحن بدورنا دفعناها للعبيد الواقفين على رفر السيارة من الجانبين، وادخر السيد حمزة بعض ما أخذ فدسه في جيبه.. وبعد هنيهة التفت الملك عبد العزيز سائلاً: أين الأريل يا عبد المجيد؟ فمد هذا يديه فارغتين فقال: أنفقت ما معك؟ قال: أى. قال: لا تخف، يعوضك الله عنها، وأعطاه غيرها، وما زال يعطيه والأمير عبد المجيد يوزع، حتى أدركنا أن الأب يلحق الابن درساً عملياً فى الكرم، ويشمره من الطفولة بأن الجود لا يفقر<sup>(١)</sup>..

وربما تجمع للرجل كل ما فى «طبيعة الجندي» من الخصائص وبقيت «محبوسة فيه لا يدرى بها الناس إلا أن يأتى بعمل ينم عليها، فيدين نفسه بطبيعته تلك ولا يدين غيره، ويكون مطبوعاً على أن يطيع ولا يكون مطبوعاً على أن يطاع، وإذا جاءت طاعة المطيعين له فإنما تجبئه من سلطة النظام وحكم الشرع وغلبة العادات، لأن الشجاعة مثلاً لا تلازم الهيبة فى كل حال، فقد يكون الشجاع مهيباً ويكون غير مهيب، بل يكون أحياناً ممن تقتحمهم الأنظار ويجترئ عليهم المستخفون»<sup>(٢)</sup>.

ولقد تمثل الملك عبد العزيز من مقومات الشخصية الإسلامية كما صورها العقاد: «ألا يكون له شعار غير شعار الجند حيث كانوا: الأمر هو الأمر والطاعة هى الطاعة.. وخلق بالناس أن يفهموا ذلك عنه بغير بيان، لا سيما إذا فهموا قبل ذلك أنه متى وجبت الطاعة كان هو أول من يطيع.. ذلك هو الجندي المطبوع.. جندي من جنود السله فى معترك الحق والإيمان.. وإذا استوفينا المثل إلى أقصاه، فالقانون المطاع هو القرآن، والقائد الأعلى هو النبى الذى يوحى إليه، وليس أحد بعد ذلك أكبر من يطيع.. يأمر الله فالطاعة واجب لا هوادة فيه»<sup>(٣)</sup>.

«ولذلك كان لعلماء الدين المقام الأول عند الملك عبدالعزيز، يقدمهم على إخوانه

(١) الزركلى: السابق، ص ١٤٢٧.

(٢) العقاد: المرجع السابق، ص ٦٨.

(٣) المرجع نفسه، ص ٧٠.

وأبنائه وكبار جلسائه، ويصفى إلى آرائهم ويبالغ في إكرامهم، وقلّ أن يجادلهم في أمر يرون فيه ما لا يرى قبل أن يفسح المجال لهم للمناقشة فيه فيما بينهم، فإن انفرد بعضهم أو أحدهم بما يوافق رأيه، لم يعجل في الأخذ بما قال، وترث إلى أن يقنع الآخرون.

وعودهم إذا بدا لهم أمر، ورأوا فيه «النصيحة» له، أن يجتمعوا فيما بينهم، ويكتبوا خطأ «كتاباً» يذيلونه بتوقعاتهم، ثم يحضرون لمقابلته.. أو يكلفون واحداً منهم أن يعرضه عليه، بالنيابة عنهم، فيرى فيه رأيه. «الشيخ أبخص» كما يقول جمهور النجديين، أمي : الملك أدرى.

وكان لكبارهم هبة في نفسه، لا يصطنعها ولا يتعلمها، ولا سيما آل الشيخ، حفدة من قامت على دعوته دعائم المملكة في سابق عهدها، سُمع مرة يقول : ما لقيت الشيخ - يعنى عبد الله بن عبد اللطيف- إلا تصبب العرق ...

«على أن هنالك ما لا ينبغي إغفاله.. وهو أن الملك عبد العزيز كان يعلم أن المرأ عدوّ ما جهل، ويعلم أن أكثر من عارضوه في استخدام الآلات الحديثة، إنما كانوا يصندرون عن نية حسنة، ويعلم أن هؤلاء ذوى النيات الحسنة خاصة، لم تكن معارضتهم، لرغبة في الشغب، أو لعرقلة تقدمه الاجتماعي والنظامي بالدولة، بل يعارضون، لأن الواجب يفرض الإخلاص للإمام، وأن ينصحوه فيما يعن لهم.

ولا شك في أنه بعد أن رسخت دعائم الدولة، كان من اليسير عليه أن يقابل المتدخلين منهم فيما لا يعنينهم، بالإعراض، ويتابع سيره فيما يعتقد صلاحه لبلاده، ويأخذ متشددتهم بالزجر. ولكن الملك عبد العزيز الحكيم المتأني، الحريص على أن تلتف قلوب الناس حوله قبل جسومهم، كان يكبر - في دخيلة نفسه - جرأتهم، ويُجل صراحتهم، ويظيل التفكير في حل عقدهم النفسية، ويلتمس العذر لمن عادى ما يجهل منهم، ويقدم الإقناع على الإسراع. فعمد إلى شتى الوسائل لإزالة ما علق في أذهان فريق منهم من أن الآلات الحديثة ضرب من السحر أو عبث من الشيطان، فلما أدركت كثرتهم، بطلان ذلك مضى في سبيله بينى ويجدد ويصلح<sup>(١)</sup>.

(١) الزركلى : السابق، ص ١٠٤٣.

وبهذا المنهج القويم للشخصية الإسلامية تيسر لعبد العزيز أن يقدم نموذجاً للبناء الحضاري، استطاع بدوره أن يغير مجرى تاريخ الجزيرة العربية وأن يقودها في الطريق الذي انتهت إليها في هذا الملك الشامخ الذي غير معالمها، وبدل طراز حياتها ومد عليها رواقاً من العزة والسؤدد .

ويعنى د. رشاد فرعون بهذا الحدث.. حدث دخول الملك عبد العزيز إلى مدينة الرياض، واسترداده ملك آبائه وأجداده:

«وما كان لهذا الحادث أن يعد ضرباً من المعجزات لولا أنه نقطة الانطلاق في إنشاء المملكة العربية السعودية ولو أنه عمل فذ فريد يفتح في تاريخ الجزيرة العربية فصلاً مشرق الصفحات يخط الجهاد والكفاح كلماته، ويشيع المجد الأغر بين سطوره.

شاب في عنفوان الشباب جرده الزمان من كل شيء إلا إيماناً راسخاً كالجبال يعمر قلبه وعزيمة كالسيف مضاء يحدواه إلى استرداد الملك الضائع وإعادة العرش المثلول.

يخرج من الكويت في قبضة من الرجال إلى غايته وهي غاية بعيدة المنال عزيزة المطلب، عدو عنيد قوى الشكيمة ، وافر الجند كثير الأعوان وصحراء قاحلة لا ماء فيها ولا ظل ودساتن تحاك في الخفاء . كل ذلك يقف بين عبد العزيز وما يريد.

أتراه يلين لهذه الصعاب وتهن عزيمته أمام هذه المخاطر فينتشى عن غايته ويختار الحياة الهنية اللينة على ذل الأسر ومهانة المنفى ؟ أم تراه يمضى قدماً وراء هدفه يحققه أو يهلك دونه؟

حاشا للرجل العبقري العظيم أن يستجيب لغير العظيم من الأمور أنه يعرف ما هو مقدم عليه ولكن له من إيمانه عاصماً يجنبه الضعف ويقيه التخاذل. لقد عقد عزمه على أمر ولا بد من تحقيقه.

وما هي إلا أيام حتى يعبر عبد العزيز وعصيته الصحراء ويشرفون على الرياض.

لقد صهرتهم الصحراء فجلت معدنهم فصاروا وكل واحد منهم كمنصل السيف كلهم صادق العزيمة ثابت الجنان وعلى رأسهم قائد لا كالقادة يسير أمامهم في الطليعة يطعن قبلهم وتناله الطعنات قبلهم أيضاً فإذا كشفت عن جسده رأيت تاريخ المملكة

مخطوطاً عليه بندبات جراح تجاوب الثلاثين كل واحدة منها تشير إلى معركة خاضها لتشييد الملك الواسع. إن هذا الفتح العظيم إنما هو في الحقيقة مفتاح شخصيته وسر عظمته، إنه وحده يكفى ليفسح له في التاريخ مكاناً بين العاقرة وعظماء القادة والساسة، إنه يجمع إلى الجرأة والإقدام، سداد الرأي وحنكة القيادة ورسوخ الإيمان وثبات الجنان. إنه بداية سلسلة طويلة من الكفاح والقتال امتدت ثلاثين سنة.

وبعد أفما أثبت التاريخ أنها كانت نقطة التحول في تاريخ الجزيرة العربية الحديث وأول الشوط في إنشاء المملكة العربية السعودية الممتدة من بادية الشام إلى الربع الخالي، ومن الخليج العربي إلى البحر الأحمر.

وإن هذا الرجل العظيم الذي أنشأ هذا الملك الواسع كان يشرف على إدارته بنفسه ويطبق فيه أحكام الشريعة الإسلامية بالعدل لا يعرف في أداء رسالته محاباة ولا مواربة .. بابه مفتوح لكل شكوى لا يحجبه عن رعيته حارس ولا حاجب. وكم من مرة رأيت بأم عيني رجلاً من أفراد الرعية يستوقف موكب الملك ليرفع إليه ظلامته فيسمع له وينصفه إن كان مظلوماً».

«وإن الذين عاشوا إلى قرب جلالاته قد خبروا فيه إلى جانب الصفات النادرة التي يتجلى بها الديمقراطية الصحيحة التي لا يشوبها شيء من تلك المراسم التي تلازم الملك وتقرن بكل عرش وتاج.

ومن خطبة للملك العزيز يتأكد لنا هذا المعنى الكامن وراء البناء الحضاري في المملكة العربية السعودية؛ حيث يقول<sup>(١)</sup>.

«أنا مبشر أدعو لدين الإسلام، ولنشره بين الأقوام.

«أنا داعية لعقيدة السلف الصالح، وعقيدة السلف الصالح هي التمسك بكتاب الله وسنة رسوله وما جاء عن الخلفاء الراشدين، أما ما كان غير موجود فيها، فأرجع بشأنه إلى أقوال الأئمة الأربعة، فأخذ منها ما فيه صلاح المسلمين.

(١) أم القرى ١١ ذى الحجة ١٣١٥هـ.

«أنا مسلم وأحب جمع كلمة الإسلام والمسلمين .. وليس أحب عندي من أن تجتمع كلمة المسلمين، ولو على يد عبد حبشي، وإنني لا أتأخر عن تقديم نفسي وأسرتي ضحية في سبيل ذلك .

«أنا عربي ، وأحب قومي والتألف بينهم وتوحيد كلمتهم، وأبذل في ذلك مجهوداتي، ولا أتأخر عن القيام بكل ما فيه من المصلحة ، وما يوحد أشتاتهم ويجمع كلمتهم.

«أنا مسالم ومدافع ، أنا مسالم للناس وأحب النصيحة قبل كل شيء، لأن الدين النصيحة لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم، وأنا مدافع، لأنني ما حاولت في وقت من الأوقات أن أعتدي على إخواني وأبناء قومي، وكنت في كل وقت أقابل ما يصدر إلي منهم . من إساءة أو خطيئة ، يصدر رحب ، على أمل أن يرجعوا إلى الصواب، ولكنني إذا رأيت تمادياً في الغي والإساءة أضطر حيثئذ للدفاع».

ومن خطبة له بمكة يقول:

«أنا بدمتكم .. وأنتم بدمتي .. إن الدين النصيحة . أنا منكم وأنتم مني، هذه عقيدتنا في الكتب، بين أيديكم ، فإن كان فيها ما يخالف كتاب الله ، فردونا عنه، واسألونا عما يشكل عليكم الحكم فيها، والحكم بيننا كتاب اله ، وما جاء في كتب الحديث والسنة».

ومن خطبة أخرى ارتجلها في مكة<sup>(١)</sup> يقول :

«ما كنا عربياً إلا بعد ما كنا مسلمين، كنا عبيداً للعجم، ولكن الإسلام جعلنا سادة، ليس لنا فضيلة إلا بالله وطاعته، واتباع محمد، ويجب أن نعرف حقيقة ديننا وعريبتنا، ولا ننسأهما .

«كل حرية باطلة » ، إلا حرية الإسلام، والإنسان لا ينفع إلا بالدين، ونحن لا نبغى محاربة أوروبا ، وإنما نطلب حقوقنا بالتحادنا فنعتصم بالله، والإسلام أكبر وسيلة وأكبر حصن، هو أكبر مزايا الحسب والنسب ، فيجب على المسلم محبة دينه وشعبه ووطنه».

---

(١) سنة ١٣٥٧ هـ (١٩٣٨ م).

ومن خطبة له في مكة أيضاً يقول:

«يسموننا بالوهابيين، ويسمون مذهبنا بالوهابي، باعتبار أنه مذهب خاص، وهذا خطأ فاحش، نشأ عن الدعايات الكاذبة التي كان يبثها أهل الأغراض.

«نحن لسنا أصحاب مذهب جديد، أو عقيدة جديدة، ولم يأت محمد بن عبد الوهاب بالجديد، فعقيدتنا هي عقيدة السلف الصالح التي جاءت في كتاب الله وسنة رسوله وما كان عليه السلف الصالح.

«نحن نحترم الأئمة الأربعة، ولا فرق عندنا بين الأئمة مالك والشافعي كما أنني أرى من واجبي ترقية جزيرة العرب، والأخذ بالأسباب التي تجعلها في مصاف البلاد الناهضة، مع الاعتصام بحبل الدين الإسلامي الحنيف.

«إنني أعتبر كبيركم بمنزلة الوالد، وأوسطكم أخاً وصغيركم ابناً، فكونوا بدأ واحدة، وألفوا بين قلوبكم، لتساعدوني على القيام بالمهمة الملقاة على عاتقنا.

«إنني خادم في هذه البلاد العربية، لنصرة هذا الدين، وخادم للرعية إن الملك لله وحده، وما نحن إلا خدَم لرعايانا، فإذا لم ننصف ضعيفهم، وتأخذ على يد ظالمهم، وننصح لهم، ونسهر على مصالحهم، فنكون قد خننا الأمانة المودعة إلينا.

«إننا لا نتهمنا الأسماء ولا الألقاب، وإنما يهمننا القيام بحق الواجب لكلمة التوحيد، والنظر في الأمور التي توفر الراحة والاطمئنان لرعايانا.

إن من حقكم علينا النصح لنا، فإذا رأيتم خطأ من موظف، أو تجاوزاً من إنسان، فعليكم برفع ذلك إلينا لننظر فيه، فإذا لم تفعلوا ذلك فقد ختمت أنفسكم ووطنكم وولاتكم».

ومن خطبة له في حفلة خريجي المعهد العلمي السعودي<sup>(١)</sup>:

«أيها الأبناء . إنكم أول ثمرة من غرسنا الذي غرسناه في المعهد، فاعرفوا قدر ما

(١) أم القرى ١٧ صفر ١٣٥٠هـ.

تلقيتموه فيه من العلم. واعلموا أن العلم بلا عمل. كشجرة بلا ثمر، أن العلم كما يكون عوناً لصاحبه، يكون عوناً عليه، وليس من يعلم كمن لا يعلم، قليل من العلم يبارك فيه، خير من كثير لا يبارك فيه والبركة في العمل .

«بعث صفوة الخلق، اللهم صل وسلم عليه، من العرب، ونزل عليه أمين السماء، في بلاد العرب، بقرآن عربي غير ذي عوج، فلنعرف قدر ذلك ولنحتفظ بديننا ولغتنا وبلادنا ولنحبها حباً جماً.

«لا مانع من أن نأخذ من غيرنا المفيد، فالحكمة ضالة المؤمن يلتقطها حيث وجدها ، وقد كان للعرب في جاهليتها خصال حميدة، وكان لغيرهم أيضا ، وجاء الإسلام فأقرها، قال صفوة الخلق اللهم صل وسلم عليه: «بعثت لأتم مكارم الأخلاق» وقال : ولدت في زمن الملك العادل».

«حافظوا على تعاليم دينكم ، ولا شك أنكم قرأتم ولله الحمد والمنة شيئاً كثيراً منها، وأقول لكم : والله ثم والله ما حرمت الشريعة شيئاً فيه نفعنا، ولا أحلت شيئاً فيه ضرنا، وإن النظرة السليمة لتدرك ذلك.

\*\*\*

«واعلموا أن الناس لو كانوا جميعاً على قلب أكفر رجل، لما ضرروا الله شيئاً. ولو كانوا على قلب أتقى رجل، لما نفعوا الله شيئاً. إن الله لغنى عن العالمين!

«انظروا إلى نعم الله. هل فاضل في أحكامه، بين غنى وفقير، فأوجب على الثاني الصلاة مثلا، وترك الأول؟ وهل أباح للأول ما حرمه على الثاني من المسكرات مثلا.. لا ، لا تفاضل إلا بالتقوى. إن أكرمكم عند الله أتقاكم لافضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى. كلكم لأدم وآدم من تراب.

«سوى بينكم وأكبر من شأنكم، فأمر ألا تعبدوا إلا واحداً، ولاتخافوا إلا واحداً، ولا تسألوا إلا واحداً ومعلوم أن أرباب النفوس العالية إذا كان لهم عند ملك من الملوك حاجة، تحب أن تدلى بحاجتها إلى الملك بلا واسطة، والله يأمر عباده أن يسألوه بلا واسطة. ولاشك في أن هذا، عدم الوساطة ، تكريم للإنسان.

«أبناي من كان منكم من بيت رفيع فليحرص على ألا يكون سبباً في خفضه، ومن كان من آخر فليبن لنفسه مجدداً فقد من الله عليكم وأرشدكم إلى طريق الخير. فاعملوا إنا لعملكم منتظرون والله ولى التوفيق.

«وأما محبة الأولياء والصالحين، فمن ذا الذي يُبغضهم منا؟ ولكن محبتهم الحقيقة هي العمل بما عملوا به، واتباع سنتهم في التقوي. ومن هم أولئك الأولياء؟ هم الذين قال الله فيهم: ﴿الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف، ونهوا عن المنكر﴾. فهؤلاء هم الذين نحبههم ونقتفى آثارهم. ولكننا لا نرفعهم فوق المرتبة التي يريدونها لأنفسهم ولا يريدونها لهم الله. هذا الذي نحن عليه، وهذا الذي ندين لله به. إن كان عندكم ما ينقضه في كتاب أو سنة فأتونا به ل نرجع عنه.

وفي الخطبة نفسها:

«إننا لم نطع ابن عبد الوهاب ولا غيره، إلا بما أيدوه بقول من كتاب الله وسنة نبيه محمد ﷺ. أما أحكامنا فنسير فيها طبق ما اجتهد به الإمام أحمد بن حنبل... ومن خطبة له في جُدة<sup>(١)</sup>:

«إن هذا الوطن المقدس، يوجب علينا الاجتهاد فيما يصلح أحواله. وإنا جادون في هذا السبيل قدر الطاقة، حتى تتم مقاصدنا في هذه الديار، لنكمل للمسلمين جميعاً أمنهم وراحتهم، وتتم لجميع الوافدين منازل الوحي والمساواة في الحقوق والعدل.

«إن للدول الأجنبية المحترمة، علينا حقوقاً ولنا عليها حقوق. لهم علينا أن نفى لهم بجميع ما يكون بيننا وبينهم من العهود (إن العهد كان مسؤولاً) المسلم العربي ليشين بدينه وشرفه أن يخفر عهداً أو ينقض وعداً. وإن الصدق أهم ما نحافظ عليه. إن علينا أن نحافظ على مصالح الأجانب، ومصالح رعاياهم المشروعة، محافظتنا على أنفسنا ورعايانا. بشرط ألا تكون تلك المصالح ماسةً باستقلال البلاد الديني أو الدنيوي. تلك حقوق يجب علينا مراعاتها واحترامها، وسنحافظ عليها ما حيننا إن شاء الله تعالى.

(١) نشرتها أم القرى، في ١٥ رجب ١٣٤٤هـ (يناير ١٩٢٦ م).

«وأما حقوقنا على الدول . ففيما يتعلق بهذه الديار، نطلب منهم أن يسهلوا السبل إلى هذه الديار المقدسة، للحجاج والزوار والتجار والوافدين . ثم إن لنا عليهم حقاً فوق هذا كله، وهو أهم شيء يهمننا مراعاته. وذلك أن لنا في الديار النائية والقصية إخواناً من المسلمين ومن العرب ، نطلب مراعاتهم وحفظ حقوقهم . فإن المسلم أخو المسلم، يحنو عليه كما يحنو على نفسه، في أي مكان كان ، وإنى أؤكد لكم بأن المسلمين عموماً، والعرب خصوصاً . كالأرض الطيبة كلما نزل عليها المطر أنبتت نباتاً حسناً. وإن المطر الذي نطلبه هو الأفعال الجميلة من الحكومات التي لها علاقة بالبلاد التي يسكنها إخواننا، ومن العرب من المسلمين . وإن الأرض الطيبة، هم المسلمون عامة والعرب خاصة . ولى الأمل الوطيد في أن الحكومات المحترمة ذات العلاقة بالبلاد الإسلامية والعربية ، لاتدخر وسعاً في أداء ما للعرب والمسلمين من الحقوق المشروعة في بلادهم . أسأل الله أن يجعل أفعالنا أصدق من أقوالنا وأن يوفقنا وإياكم لما فيه الخير والصلاح .

ومن خطبة له في المدينة المنورة (١):

«إننا نبذل النفس والنفيس في سبيل راحة هذه البلاد، وحماتها من عبث العابثين. ولنا الفخر العظيم في ذلك .

«وإن خطتي التي سرت ولا أزال أسير عليها، هي إقامة الشريعة السمحاء».

يقول حاكم باكستان العام الحاج خواجہ ناظم القدسی فی المفوضية العربية السعودية بباكستان بمناسبة اليوبيل الذهبي لفتح الرياض:

«يا حضرات السادة، يسرني جدا أن أحضر في هذا الحفل، الذي أقامه سعادة الوزير السعودي، احتفالاً بالعيد الذهبي لفتح الرياض ، الذي تم بيد جلالة الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود، ذلك الأمر الذي أرجع القوة الحقيقية إلي الأمير الشاب، الذي قاد فئة قليلة من أتباعه، فتمكن بهم من الاستيلاء على عرض أسلافه وأقام بعد بضع سنين الأمن والسلام في جميع حدود مملكته.

(١) أم القرى ٢١ ذي القعدة ١٣٤٦هـ

إن العيد الذهبى ذكرى ماثلة، لما اتصف به جلالة الملك من ذكاء سياسى، وتدبير وحزم، وحدبها شتات أمته ، وجمع كلمتها تحت راية حكومة منظمة، فأنقذها من الفرقة والتشتت، التى بددت كل القبائل، وفرقت بينها منذ أجيال متطاولة، ومن أهم ما أمتاز به جلالة الملك، إقامة الأمن والسلام ، الذى يتمتع به الحجاج فى أثناء أداء الحج ، ويعلم أكثر الناس، ماكان يلاقيه الحجاج، من نصب وتعيب فى أثناء زيارتهم للبلاد المقدسة، قبل تولى جلالة الملك زمام الحكم فى هذه البلاد المقدسة، أما اليوم فلا يسافر الحاج فى طول البلاد وعرضها آمناً مطمئناً فحسب ، بل إن الذى يدعش حقا أنه إذا سقط منه متاعه، فهو على يقين بأنه سيجده محفوظاً دون نقص، وقليل جداً من الحكومات التى تستطيع أن تدعى أنها نفذت فى ممالكها الأمن والسلام بهذه القوة والصرامة.

وبعد تأسيس باكستان، قد ازدادت قوة روابطنا الدينية والاجتماعية والثقافية، بأهل المملكة العربية السعودية.

وإن باكستان لتؤمن إيماناً قويا، بمبادئ الإسلام من الصدق والعدل والمساواة للإخاء العالمى، وهى لاتدخر وسعا فى نشر ذلك، ونحن على استعداد دائم للتعاون مع جميع أسمى العالم، المحبة للسلام والأمن العالمى .»

ومن قصيدة السيد عبد الحميد الخطيب الوزير المفوض للمملكة العربية السعودية فى الباكستان فى حفلة اليوبيل الذهبى بكراتشى نعرف على جانب من جوانب صور الملك عبد العزيز:

نصف قرن من العلى والجهود	جوزيت أن نصوغها يوم عيد
عشرات السنين ملأى من السؤ	دد والبأس والنضال المجيد
شحننت ساحها بلمع المواضي	ونسداء الداعى وزأر الأسود
وأنها روح السما فأضاءتها	ابتساما بيوم عيد سعيد
ونراءت لنا بخلق جديد	هب يستأنف العلى من جديد

نصف قرن فى عهدہ جاء يزجى  
يتولى الماضى ويستقبل الآتى  
قام عبدالعزیز يدعو إلى الله  
هب فى بأسه الشديد هبوب الـ  
يتضمنى العسير غير عسير  
يتحدى الدنيا مدلا بحق اللـ  
واضعاً نفسه وما ملكته  
جاعلاً أمر ربه فوق أمر النا  
من يكن همه رضى الرب فى دنـ  
عاهد الله أن يجاهد فى اللـ  
فأنته الدنيا وما كان يبغى  
سلمت نفسها إليه وسامت  
فإذا بالرمال تنجب كثبا  
وإذا بالوهود تنفث بركا  
نام فى الأرض منذ ماسوى التر  
وإذا بالنؤوم توقظه الهمة  
عزم عبدالعزیز علمه البعـ  
بث روح الحياة فى الأرض بتو  
بأملكها أرادہ الله للبيـ  
قد توليته تريد رضا اللـ  
ورعيت الحجيج بالبر والمعظـ

بالتهانى لنصف قرن مزید  
وآل السعدود آل سعدود  
بعمزم صلب وقلوب حديد  
ريح فى يومها العصيب الشديد  
نبيله والبعيد غير بعيد  
ه فى أرضه وحق الحدود  
ه فى يد المالك العلى الحميد  
س فى غيب حاله والشهود  
ياه لم يكثرث بفيظ العبيد  
ه ويعلى معالم التوحيد  
ها مجيء المتيم المعمود  
ه قبولا سوم الملح العنيد  
نا من المسجد الأصيل الفريد  
نا من السائل الثمين المفيد  
ب على الأرض نومة العرييد  
والبعث بعد طول الرقود  
ث وسواه عنصرا اللوقود  
ليد ما أضمرت بطون البيد  
ت هنيئا بحظك المحمود  
ه وإن كان نفيه رغم الحسود  
ف وأويتهم لركن شديد

فجزاك الإله عن حرم اللـ  
وتلقيت من يد الله ما تبغيـ  
وتقبل تحية الشعر يملئـ  
سه وعن رُكعٍ به وسجود  
سه من غبطة و عمر مديد  
سها شعور الخطيب عبد الحميد

كما بتضح لنا من قصيدة شاعر الملك الأستاذ أحمد الغزاوي بمناسبة الذكرى الذهبية  
لفتح الرياض عدد من المعانى التى تكشف عن سمات متميزة فى شخصية عبد العزيز:

أصخت و«الفلك الدوار» برنجل  
وملء أذنى أصداء ترددها  
تجاوبت، بها الدنيا مدوية  
إذا انقضت «سورة» منها بمعجزها  
والفجر يبزغ، والأحداث تتسل؟  
ربى «الجزيرة» أرسالا، وترتقل؟  
وفصلت وبها الأمجاد تكتهل  
وافتك أخرى بها «الاشعاع» يتنذل

«خمسون حولاً» توالى وهى أشرطة  
فاسأل بها البید تنطق وهى صامته  
حيث «العروبة» أشلاء ممزقة  
يمشى الفناء عليها - دون ما حذر  
ويستبد البلى، شتى معاولة  
منبته حولها الأطناب خاوية  
أكانها، وسواد الليل - يكنفها  
من الحوادث، منها الجد، والهزل  
والبيض تفصح، والأشطان، والأسل  
والديسن يجأر، والأحزاب تقتتل  
عبر التخوم، وتردى وهى تكتبل  
خلالها، ويميد السهل، والجبل  
عروشها، وبها الأهواء تختبل !!؟  
كهف بأعماقه الآجال تختزل !!؟

ناولتها أبادى السوء، واثتمرت  
تسفو الأعاصيرت فيها - وهى عاتية  
قد أمعن الداء فى أحشائها ومضى  
بها الكوارث، و الأيام، والدول  
هوجاء، للجن فى أعطافها زحل  
حتى تغفل فى أكبادها الشلل !؟

مفلولة يتحدى الويل فى سرف  
وللمنايا ارنجاز، تستطير به  
يكابر الجهل - فيها كل واضحة  
(والناس من يلق خيرا قائلون له

أفلاذها، ويشيع الهول، والوهل  
أطوادها به الغابات تشتعل  
ويوقد النار فيها الحقد والجدل  
مايشتهى، ولأم المخطئ - الهبل )

وما لها غيره، عل، ولانهل !!!  
إلى الحضيض، تداعى فوقها الظلل

ولا الظلال إليها تجنح الأصل !!!  
والجد مندرس، والشر منتحل !!!  
عمى بصائرهما، أحناؤها دغل !!!  
هى الذماء وثم «استنوق الجمل» ؟!  
أخري الليالى ! مهاة رابها الزلل ؟؟  
عها ويستشيط عليها الخوف والحجل ؟؟  
«كتيبة» من وراء الغيب تنفتل !!!  
إلى التى فى ضحاها «توج البطل» !!!  
يلفه نابغى الهم ينسدل ؟؟  
قبل المطي، إلى الجلي، وتنفصل ؟

(أرصاده) وتمطت دونه الطول ؟  
تضل فى سرحها الضبان والورل ؟

روى النجيع ثراها - فهو مشرعها  
طريدة كلما أفضى النكال بها

لاتبصر العين فى ظلماتها - قيسا  
فالامن مرتكس، والحق منظمس  
صمى غوائرها، بكم منابرها  
صريعة الفى، أودت غير حشرجة  
عاشت على هامش التاريخ تحسبها  
تغضى على الضيم، والتمحيص يفج  
هناك ! حنت لها «الأقدار» فانطلقت  
يؤمها (الصقر) تزجيه (قوادمه)  
فزعج له، وهو «بالدهناء» يجزعها  
تكاد أنفاسه الحرى، تسابقه

طافت به، وأحاطت من جوانبه  
مهامه كاطراد السيف موحشة

إذا السمائم زفتها - مجنحة

تمخض (المهل) فيها واكتوى المهل

مايوم عجلان و«المحفوظ» يصرعه

بالسر، وهو بسيف الله ينجدل؟!!

لم تشنه الهبوات السود مطبقة

ولا الضوايح تعدو، والقنا الذبل

تدرع المعزم تنذك الجبال به

واحتته «النصر» والثارات والذحل

ساد الهدوء، وجن الليل، واضطجعت

بواسق النخل، والأسوار والكلل

وانقض في عدواء (الصرح) منصلنا

«رحب» الذراع به الأبهاء تنتقل

طورا يصلى، وطورا رافعا به

إلى السماء، وطورا همسه الملل

حتى إذا النجم أعياه تربصه

واستيقظ (القصر والحراس والخول

واختال عجلان، تياها بيزته

مستكبرا، ودنا من حتفه الأجل

أهوى عليه «المفدى» غير مكترث

وجها لوجه (وأوهى قرنه الوعل)؟

وكبير الشعب «إعجابا - بمنقذه»

وأبرقت «بالرياض» الحلبي، والحلل

وزين «العرش» يانيه «بمفرقه»

وأقبل الحظ - رغما - وهو ممثثل؟!!

وآية النصر - يوم الفتح - بينة

تتري البشائر فيها - وهى تهتبيل

أطل فيه «سمود» واستهل به

(فتح) و(عيد) و(ميلاد) هو الأمل؟

وأسفر الصبح عن «تاج» و«مملكة»

يعلمو بها الحق، والتاريخ يحتفل؟!!

تفجر (التبر) فيها تحت أخمصه

والماء - فاض بها - والزبد، والعسل

ترنو إلى المجد، و(التوحيد) يسلكها

فى دعوة - بعثت من أجلها (الرسل)

«نصر من الله» فى آثاره اقتحمت

(عواصم) - وحصون دكها الوجمل؟!!

قد أعجبت كثرة، واستنفزت حمرا

وبوغت، وهى بالأحلام تكتحل؟!!

هذا اليقين بوعد الله ينجزه  
«إن تنصروا الله ينصركم» بها هتفت  
ساس «الرسول» بها من قبل أمته  
فلا (القياصر) صدت من تقدمهم  
و«ابن السعود» تفاهم بسيرته  
فماونى في سبيل الله. واتحدت  
وقوضت بيديه المنكرات علي  
وساخت الأرض بالفجار، واجتنبت  
وثل بالشرفى البغى، فانخسفت  
وشادها (وحدة أرسى قواعدها  
منارها (برسول الله) - مؤتلق  
(مهابط الوحي) جل الله ما برحت  
تلك (المشاعر) فى الإسلام آمنة  
نيطت به - وأحلتها - بواصرها  
تنزهت عن ضلالات، وتظرية  
(الحكم) - فيه حدود الله نافذة  
والشعب بكدح و(العرفان) منهله  
فى كل قاصية - منه - ودانية  
(عبد المعزى) تقبلها مغلفة

للمؤمنين - وبئس الشك والبدل  
«روح المانى» ولم يحنث بها الأزل  
(الراشدون) اهتدوا وا لأعصر الأول  
ولا (الأكاسر)، والأقيال، والقلل  
ومن نصائح الإخلاص، والعمل  
به المشارب، والأهداف والسبيل  
حد الظبا، ونعى أشياعه (هبل)؟؟  
كبائر الإثم زجرا، واختفى الكسل  
أصنامه، وتهاوت وهى تنجفل  
على (الشريعة) - لاذمل، ولا ثمل  
ودينها - (بكتاب الله) مكتمل  
بحبه تتغنى، وهى تبتهل!!  
لابدع فيها، ولا سطو ولا ختل  
وليس من بعدها - فخر، ولا غزل  
هى الفتون، ومنها استعصت الملل  
و(العدل) ينصب والإحسان ينهمل  
و(الجيش يطمح) و(ال عمران) يشتمل  
كفاء تغمر بالجدوى - وتفتضل  
هى اللاكى، إلا أنها لجلل؟؟!

الحب يشتفها، والبشر، والجذل  
فيها الترائب، والأصلاب، والمثل

فضلا يدوم وفي الأعقاب يتصل  
ومن بتقواه - حقا يضرب المثل  
ماشع بالضوء منك الرأد والطفل

ويتأكد لنا المصدر الإسلامى فى صورة عبد العزيز من قصيدة الأستاذ فؤاد شاکر فى  
نحية العيد الذهبى:

فوافاه عيد بابتها جك يشرق  
تلاقى به من يوم عيدك رونق  
مؤئلة التوحيد، بالحق تصدق  
من البر والتقوي، وما أنت مفدق  
يكاد لها التاريخ يندى ويورق  
تسابقها بالرأى قدما، فتسبق  
فلا هو مرتاع، ولا هو يفرق  
من الأمر إيمان يجنيبك نتعلق  
موحدة الإيمان، لانتفرق

من الهول يطفو بالخطوب وينسق  
وعيشاً بأفنان المسرة يفهق  
فلا قلب إلا وهو نحوك شيق  
أهازيجها بالحب تشدو وتنطق  
فأصبح ممدود الرواقين، يطبق

نظمتها لك يامولاي (أفئدة)  
أفئت إليك (بها الذكرى) منسقة

شكرت ربك، فازدد من مواهبه  
واسلم لشعبك يا خير الملوك هدى  
ولتحى للعرب، والإسلام قاطبة

تألق عيد الفطر بالبشر يخفق  
أجل، إن عيد الله للناس بهجة  
لقد جمع العيدين، فى الله طاعة  
وحسبك من دنياك ما أنت مسلف  
أجل إنها فى الله خمسون حجة  
قضيت لياليها الطوال مجاهدا  
وحيدا؛ كمتن السيف أرهف نصله  
وعونك فيما أنت ماض لنيله  
وأرسيه فى أرض الجزيرة أمة

فلما استقر الأمر وانجاب داكن  
أناد عليك الله نعمى سلامة  
لقد محضتكم الحب أمة يعرب  
كأن صبا نجد إذا فاح عرفه  
بسطت لواء الأمن كالظل وارفا

وشيدت للعدل الصروح مشيدة  
ووطدت للتوحيد صرحا مؤيدا  
فكم مسلم أدى الفريضة آمنا  
وكم طاعم قد كان غرثان صاديا  
وكم عثرة لم يدر كيف يقيلها  
أطلت عليهم من ندادك مبرة  
ففى كل دار من أياديك منة

تناطح أعنان السماء وتسمق  
بإعلاء دين الله يزهى ويورق  
وقد كان منها قبل عهدك يشفق  
يطول بهم من الليل مقلق  
أخو نجدة، كادت لها لنفس تزهب  
مع الصبح كالفجر الذى هو يصدق  
وفى كل بيت منك جيد مطوق

فعمشت لنا نبراس مجد ونعمة  
وعاش بنوك الغر أمجاد عزة  
فأنت لهذا الدين حصن وموئل  
ولازلت تمضى للجهد موفقا

من الله تجرى عن يديك وتنفق  
لهم فى فم الأجيال، ذكر ومنطق  
وأنت لببيت الله ركن وموثق  
فأنت - بإذن الله - فيه الموفق

وتظهرنا الصورة الذهنية على المميزات المزاجية كمفتاح آخر للتعرف على شخصية الملك عبدالعزيز، من حيث تواتر الحالات الإنفعالية ودرجة تغيرها . ومدى الانفعال وشدته، والحالة المزاجية المتغلبة والاتجاه الانفعالى العام. وكذلك أساليب التعبير عن الذات بما تنضوى عليه من قابلية للتأثر بالعوامل الاجتماعية، وقابلية للإندماج الاجتماعى، واشتراك فعال فى الحياة الاجتماعية، والاتجاه العام فى تقدير القيم، والصفات الخليقة كالصدق والأمانة والعدل .

ولقد درج الملك عبدالعزيز فى حياته على أن يستيقظ قبل الفجر، ويتجهد ببعض الصلوات، ثم يتلو ما تيسر له من كتاب الله عز وجل، بصوت عال، حتى إذا حان وقت فريضة الفجر، أداها فى وقتها، وبعد الصلاة يقرأ طائفة من الأوراد والأدعية النبوية المأثورة ثم يستريح

وبعد شروق الشمس بنحو ساعة، كان جلالاته يجلس مع وزرائه فى جلسة خفيفة للبحث فيما يهم من أمور الدولة، وفى نحو الساعة التاسعة والنصف كان جلالاته يجلس أحيانا جلسة عامة، يستقبل فيها كبار الوافدين على الرياض، ثم تعرض عليه أمور الدولة

وأخبار العالم، ماوصل منها بطريق البرق أو البريد أو اللاسلكى، وكذلك الأمور الداخلية والخارجية، فأما الأمور السهلة فكان يتفضل جلالته بالأمر بما يراه فى شأنها حالا، وأما ما يحتاج منها إلى بحث . فإنه كان يحيله إلى لجنة المستشارين، لبحثه وتقديم تقرير عنه إلى جلالته.

وبعد انتهاء هذه الأعمال، يعود إلى قصره فيتغدى ويستريح. وبعد صلاة العصر، يجتمع حالته بكبار رجال الدولة وكبار ضيوفه، ومنهم أفراد عائلة ال رشيد المشهورين. ويبدأ هذا الاجتماع بتلاوة قسم من القرآن الكريم، ثم ينلى تفسير من آيات الله، وفى الغالب يكون من تفسير ابن كثير، أو ابن جرير. ثم يقرأ القارىء بين يدي جلالته فصلا قصيراً، من أحد الكتب فى الآداب الإسلامية، أو السياسة الشرعية، أو غيرها، مما يراه جلالته مناسباً، ومن كتب الأخلاق الدينية، ويعلق جلالته على ما تلى أمامه وسمعه، بما يراه مناسباً.

ثم تعرض على جلالته البرقيات الواردة من مختلف الجهات، ثم الشئون المهمة، وقبل الغروب كان جلالته ينصرف إلى قصره العامر، وبعد العشاء كان يجلس جلسة قصيرة، تشبه بعض الشبه جلسة العصر، من جهة ما تلى على جلالته من تفسير القرآن الكريم، ونحو ذلك.

ولاتكاد هذه العادة تختلف فى يوم عن يوم، بل يمكن ضبط الساعة على مواعيد قدوم جلالته وجلوسه وقيامه!!

وجلالة الملك عبدالعزيز مؤمن حقا، وهو يعتقد أن ما أصاب المسلمين من انحلال، إنما هو لعدم اتباعهم القواعد الصحيحة فى الإسلام سواء فى ذلك القواعد الخلقية، أو العقيدة الصحيحة، أو عدم الاهتداء بهدى القرآن. ولا يخلو مجلس من مجالسه من النصيحة للمسلمين عامة، والعرب خاصة، وكثيرا ما تترد على لسانه فى معظم مجالسه هذه الآية الكريمة: ﴿إن الله لا يغير ما بقوم، حتى يغيروا ما بأنفسهم﴾، وقوله تعالى: ﴿إن تنصروا الله ينصركم، ويثبت أقدامكم﴾، وكذلك قوله سبحانه: ﴿تسوا الله فأنساهم أنفسهم﴾.

وجملة القول أن جلالته كان يديم النصيح والإرشاد، لقومه وعشيرته، ومن يحضر مجالسه.

ولقد تمثل الملك عبدالعزيز من الشخصية الإسلامية كذلك، ماتسمت به من فكاهات وأهواء هي أخص بطبيعة الجند من سائر الفكاهات والأهواء.. ويظهرنا التاريخ أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان يعجب بالفكاهة التي توحى إليه معنى مضحكاً فيه صراحة وخشونة، ومنها الفكاهة التي نسميها اليوم «بالنكات العملية»<sup>(١)</sup>.

فرغ رسول الله يوماً من بيعة الرجال وأخذ في بيعة النساء، فاجتمع إليه نساء من قريش فيهن هند بنت عتبة منتقبة متنكرة لما كان من صنيعها بحمزة رضى الله عنه. فهي تخاف أن يأخذها رسول الله بصنيعها، فلما دنون منه ليايعنه قال عليه السلام: تبايعتنى على ألا تشركن بالله شيئاً.

قالت هند: والله إنك لتأخذ علينا أمراً ما تأخذه على الرجال وسنؤتيكه:

قال: ولا تسرقي.

قالت: والله إن كنت لأصيب من مال أبي سفيان الهنة والهنة وما أدري أكان ذلك حللاً لى أم لا؟

قال أبو سفيان وكان شاهداً: أما ما أصبت فيما مضى فأنت منه فى حل.

فقال رسول الله: وإنك لهند بنت عتبة؟

قالت: أنا هند بنت عتبة فاعف عما سلف، عفا الله عنك.

فمضى رسول الله فى أخذ البيعة وعاد يقول: ولا تزينين!

قالت: يا رسول الله هل تزينى الحررة؟

قال: ولا تقتلن أولادكن!

قالت: قد رببناهم صفاراً وقتلتهم يوم بدر كباراً، فأنت وهم أعلم.

فضحك عمر بن الخطاب حتى استغرب، وكان قليل الإغراب فى الضحك. فإن استغرب ضاحكاً بين حين وحين فإنما يضحكه مثل هذه الفكاهة.

(١) العقاد: المرجع السابق ص ٧٣

وعلى هذا النحو فكاهته مع خادمه أسلم وابنه عاصم. دخل عليهما وهما يغنيان غناء يشبه الحداء فوقف يستمع ويستعيد. وشجعهما إصفاؤه واستعادته فسألاه: أينا أحسن صنعة؟ قال: مثلكما كمثلي حمارى العبادى. سئل: أيهما شر؟ فقال: هذا ثم هذا.

ومن فكاهته القوية تلك المزحة المرعبة التى أطار بها لب الخطيئة ليكف عن هجاء الناس: فدعا بكرسى وجلس عليه ودعا بالخطيئة فأجلسه بين يديه، ودعابأشفى - أى مثقب - وشفرة يوهمه أنه سيقطع لسانه، فضج الخطيئة وتشفع الحاضرون فيه، ولم يطلقه حتى أخذ عليه عهدا لايهجون أحدا بعد، واشترى منه أعراض المسلمين بثلاثة آلاف درهم. فما هجا أحدا بعدها وعمر بقيد الحياة « (١)

كان الملك عبدالعزيز كثيرا ما يستشعر الجهد، والوجوم، وتقلب المزاج، لاشتداد وطأة العمل عليه وكثرة المشاغل، وقد يبدو أحيانا أخرى رائق النفس منبعثا إلى الضحك والمرح، وكان يأنس إلي القصص مستمعا، ويجب الروايات الطلية والطرف الجيدة. ولكن ثورات غضبه للحق تأخذ مداها إلى نهايته،

وقد سمع يوما أن واحدا من المتسبين إلى العلماء، يمشى بالفتنة بين «الإخوان» لحقد فى نفسه، فبعث فى طلبه، وسأله عما بلغه عنه، فأجاب الرجل جوابا جافا خاليا من اللياقة، فلم يتردد ابن سعود فى طرده من الحجرة، ونادى جنديا من حرسه فأمر بأن يلقيه فى السجن مع عامة الجناة. ثم تركه فى المحبس أسبوعا كاملا.

وقد فعل ذلك به، لأن سلوك بعض «المعاملين» وتصرف هذا الرجل كان يقتضى هذا الدرس الرادع.

«وقلما ترجع علة انقباضه إلى عوامل خارجية، ولسنا ننكر أن الأخبار الطيبة تسره إلى حد التهلل، ولكن أبناء السوء لاتزيدة إلا نشاطا للعمل، واتبعانا إلى مضاعفة الجهود، والتمرس بالأخطار، ومغالبية الصعاب والمشاق وتثير فى نفسه غريزة النضال» (٢).

(١) المرجع نفسه، ص ٧٤

(٢) عبد الرحمن نصر: المرجع السابق ص ١٢٧ - ١٢٨.

«ولما يأتى انقباضه من مداخل نفسه وأعماق مشاعره، فقد كان القوى العرم الذكورة ولم يمرض إلا مرة وهو غلام صغير، عقب الفرار من الرياض، حين أصيب بحمى روماتزمية، ولكنه كان بطبيعة تكوينه ضعيف الكبد بليدها، ولكنه لم يأبه بيلادتها، فيتناول وجباته غير منظمة المواقيت، ويأكل طعامه القليل فى عجلة بالغة، ويشرب جرعات من الماء عليه، وينفلت مسرعا إلى العمل أو لبعض شتونه المجهدة، وكان يحمل على نفسه، بقلة النوم وكثرة العمل واستدامة المجهود، فلم يكن ليلتمس نفسه أو يستجم، ولا يعبأ أى طعام يأكل، ولا يبالى أى ماء هو شاربه، فكان إذا أناخ أو نزل فى السفر ليريح مضى يشرب من أول بئر يجدها أمامه، وكانت عادته فى رمضان أن يقبل بعد المغيب على تناول قدر من الفاكهة الطازجة، وإذا توعك أكثر من تناول العقاقير والحبوب والأدوية التى يصفها الأطباء، وان تمرد بدنه وأجهزته على العلاج، وتعكر مزاجه، وضاق صدره أيما ضيق.

ولكن فى مستر نفسه، وأدق أجزاء كيانه، سواء بدا الفرح أو المنقبض ولا الضاحك أو العابس المربد، شيئاً خفياً... هادئاً، متنبهاً، يقظان، يسيطر على تفكيره، دافعا به إلى الاتزان فى تقريره، عادلا به عن التسرع حافزا إياه عن التهور، حتى يصل بإعمال الروية، وسكينة الخاطر إلى النتيجة السليمة والحكم الصحيح<sup>(٢)</sup>...

وكان كأكثر العظماء من رجال العمل «يستروح» إلى الحديث والمناقشة إذ الحديث «يلور» أفكاره، ويصفى خواطره، ويبدد غيوم الشك الكثيفة المترامية وراء أفق الفكر، فيحيلها إلى حقائق ظاهرة، وقرارات ملموسة واضحة المعالم والحدود، بل إن الحديث ليقربه من عقول الآخرين. فلا عجب إذا هو وجد متعة فى منازلة الرجال أقوالاً؛ كمتعته بمنازلتهم قتالا ونضالا وكانت الكلمة المملفوظة أهم عنده من الكلمة المكتوبة، لأنه كان يباشر علاج المسائل رأسا مع الذين يتقدمون إليه بها، لا من الوثائق والمذكرات، وكان ينظر فى الأفضية والخصومات فى مواجهة المتهم والمدعى بلا رجوع إلى الأوراق

(١) المرجع نفسه، ص ١٢٩.

والأسانيد وكتب الشرع والقانون- وتأتيه الأخبار والتقارير والعرائض جميعا شفوية، فكانت الكلمة الملفوظة، ولهجة المتكلم، ونبرات الصوت، وشخصية القائل هي عنده العوامل الحاسمة.

«وكان الحديث بعد الفراغ من عمل اليوم وجده؛ سلوته ومتاعه، فكانت عادته بعد صلاة العشاء أن يعقد مجلسا عاما، ثم ينتهي لزيارة الحرم، وبعدئذ يدعو أصحابه وضيوفه إلى جناحه الخاص فيتحدث إليهم في كل شيء يحلو الحديث فيه، من شئون الناس وأمور الدنيا وأحوال العالم، وعن الخيل والإبل وجوارح الطير والصيد والقنص والحرب، ومعاركه الماضية وشئون الدين والعبادات، وكان يجد أكبر المتعة في دعوة الأجانب الذين يتفق وجودهم في الرياض لسمع منهم طرفا من أخبار العالم والسياسة الدولية.

«وقد اعتاد في هذه المجالس والحضرات أن يجلس فوق إيوان ثانيا ساقيه وقدميه من تحته ملتفا بقبائه، حاسرا العقال عن رأسه، فإذا تحدث تمهل في حديثه واضعا يديه فوق ركبتيه، مرسلا بصره إلى الأمام، مفكرا قبل الكلام، متخيرا ألفاظه قبل مغادرة شفثيه، وإذا تكلم كان صوته واضحا رقيقا ليئا ولكنه في حالة الغضب أو الانفعال يتقلب مرتفعا صاحبا قاصفا كالرعد، ويرسل عبارات مدوية، ويحدث حركات شديدة التعبير، وإن له لكفين ضخمتين كل كف منهما في حجم اليدين العاديتين، وله أنامل طوال مديبة بليغة المعاني في حركاتها وإشاراتها، حتى ليبين برعشة من كفه حال محضور يغالب أنفاسه الأخيرة، أو بلفة من معصميه كيف ذهب رتل من الإبل يخطر ويتهادى في الصحراء وقطعه القيافي والرمال، واجتيازه المتحدرات والمرتفعات والتلال، وقد ينطلق في الحديث نصف ساعة أحيانا ولا يقف عن الكلام، متحمسا رافعا صوته تارة ثم مخافتا به في جد واتزان تارة أخرى، محدثا أبلغ الإشارات بكفيه وكتفيه<sup>(١)</sup>.

«وقد يوهن الليل فيحس أضيافه أحيانا ترنيق النعاس في الأجفان، وهو لا يزال اليقظ لا حاجة به إلى النوم، أو الساهر لا يتطرق السبات إلى عينيه، ولكنه لا يني يصطبر لضيوفه حتى يرى من أحدهم ميلا إلى النعاس والتهويم، كأن يثنى إحدى ساقيه من تحته أو ييسط كفه على عينيه ليخفي نفسه ويداري النعاس الذي يداعب أجفانه، فيبرى له ملقيا عليه

(١) المرجع نفسه، ص ١٣٠.

بعض الأسئلة، كأن يقول له «أليس الأمر كذلك يا فلان، قل لنا الوقائع أو أبسط لنا المسألة على حقائقها»، فلا يلبث النائم الذي أريد العبث به أن يستيقظ مجفلا، ويحاول الاستواء في مجلسه جاهدا مغالبا، ويزعم أنه لم يغف ولم ينم، فلا يسع ابن سعود إلا الابتسام مسرورا متفكها.

وإذا الليل قد انقضى وانتهى إلى ختامه.

«فعدنئذ يصفق ابن سعود بيديه داعيا الخدم إلى إحضار الفاكهة والقهوة والشاي واللبن فإذا ما أكل ضيوفه وشربوا، مشى معهم إلى رأس السلم مودعا، أمرا الخدم بأن يرافقوهم إلى دورهم ويوصلوهم إلى منازلهم آمنين، فقد يشهدهم في القصر أو في الشوارع قوم من الإخوان المتزمتين الذين لا يطبقون رؤية الأجانب والغرباء.

وبينما يتسلل الضيوف مجهودين إلى مضاجعهم، ينطلق هو نشيطا قويا كأنه نام وشبع نوما عائدا إلى سطح القصر، في هدأة الفجر وأنسامه الندية، فيصلى الفجر حاضرا، موليا وجهه شطر البيت الحرام، في تلك اللحظة التي تستيقظ فيها المدينة المترامية تحت نظره وترتفع صيحات الباعة والتجار المتادين على سلمهم، ويتعالى هدير الإبل، ويهب غبار القوافل القادمة منها والراحلة.

وعندئذ يوقظ أهل بيته وحاشيته وأمناء سره وينصرف إلى جناحه للعمل حتى الظهيرة... (١)».

من هذه الاستشهادات التي قدمناها يتضح لنا أن سمات شخصية الملك عبد العزيز سمات مرتفعة الدرجة، وذلك يعنى فى ضوء علم النفس أن صاحبها أقدر على إدارة أعمال عظيمة الشأن، فى أقطار واسعة، وأصقاع شاسعة تشمل معظم الجزيرة طولا وتمتد عرضا من ساحل الجزيرة الغربى على البحر الأحمر إلى ساحلها الشرقى على خليج البصرة - على حد تعبير الدكتور عبد الوهاب عزام - الذى يضيف: «وهى بقاع قليلة الزرع، لايجرى فيها نهر دائم، ولكن فيها أودية كثيرة تسيل فى أعقاب المطر. فإذا بنيت فيها السدود وحبس الماء عن الاندفاع فى الصحراء أو الداماء عادت بخير كثير، وأعانت على زرع بقاع كثيرة.

(١) المرجع نفسه، ص: ١٣٣.

وفى المملكة كثير من المعادن، عرف بعضه العرب الأولون، وكشف عن بعضه فى هذا العصر والأمل عظيم فى أن يكشف عن الكثير منها فى المستقبل القريب بتوفيق الله. ولا تقدر مكانة هذه المملكة العظيمة بمياها وأوديتها ومعادنها، ولكن بمنزلتها التاريخية والدينية، لا نعرف أرضاً لها مثل هذه المنزلة. أو دياراً لها من شرف التاريخ والدين والأدب مثل هذه المكانة.

فهى مهد العرب، فيها نشأوا، وفى أرجائها درجوا، وعلى صفحاتها خطوا تاريخهم الأول. وفى سهولها وجبالها نشأت لغتهم، وترعرعت وأينعت وكملت، ونبت أدبهم وأزدهر، ثم انتشر فى أرجاء الأرض بدوها وحضرها، وفيه نفحة لمجد والحجاز، وذكرى عدنان وقحطان وصور الجزيرة، ووحشها، وذكرى تاريخها وقصصها، ومآثرها ومكارمها وأخلاقها وآدابها.

انتشر الأدب العربى من أودية السند الى سواحل الأطلسى، ومن حدود سيبيريا الى خط الاستواء، وامتد فى البر والبحر والبدو والحضر فى آسيا وأوروبا وأفريقية، وفيه صدى الجزيرة وشذاها وأخيلة ليلها وضحاها ومرعاها وماؤها.. يرويه الزمخشري فى زمخشر، والأعلم الشتمري فى شتمر، فى أقصى تركستان وأقصى الأندلس.

فما يقرأ الأدب العربى أو ينشد فى أية بقعة من الأرض إلا ردد ألحان الجزيرة، وعكس صورها وظلالها، وما يسير سائر فى أرجاء الجزيرة إلا وجد مواضع اتصلت بها وقعة تاريخ، أو حياة شاعر، أو قصة مجيد، أو ذكرى حرب أو سلم.

وقد اختار الله العليم هذه الجزيرة مهبط وحيه، ومنشأ رسالته. فانبعث منها نور الإسلام، وهدى القرآن، فشرق حتى أقصى المشارق وهو دائم الإشراف وغرب إلى أقصى المغارب وليس له غروب.

وفى هذه البلاد قبله المسلمون، ومثوى الرسول الأمين، تهفو إليها أفئدتهم وتتوجه وجوههم وقلوبهم.

خلدت بقاع الحجاز فى تاريخ الإسلام، وذكرها المسلمون فى كل مكان، وما يسير المسلم فيها إلا رأى خطى الإسلام فيها وليداً وناشئاً، وقص آثاره عليها، وقرأ من تاريخه فى قراها وسبلها، وجبالها وأوديتها، وحزونها وسهولها.

وقد مكن الله في هذا الإقليم المبارك لجلالة الملك العظيم عبد العزيز آل سعود. يسر له فتح الرياض سنة ١٣١٩ من الهجرة ثم مازال يمد سلطانه في الجهات كلها حتى تسنى له فتح أم القرى سنة ١٣٤٣هـ. وزاده الله تمكيناً في الأرض. فاستقر له الملك وأمنت به البلاد، وسكن إليه الناس، سكنوا إلى بره وعطفه، وحلمه وعدله، وسخائه وبذله.

وإذا رزقت أمة أمناً وعدلاً فقد نهياً لها العمل والسعى، ومهدت لها السبل إلى العمران والإصلاح، والتنافس في ضروب الإنشاء والبناء.

وكان من يمن هذا الملك الجليل وإخلاصه، وحسن طويته، أن فتح الله له كنوز الأرض فوجدت الثروة التي استعان بها على التعمير والإصلاح. فانطلق الناس يعملون ويتجرون وينشئون المساكن والمصانع، واستقاموا على طريقة مؤدية إلى الخير والفلاح إن شاء الله.

وأخذت الحكومة تجدد في التعمير فأنشأت ميناء جدة الكبير، وأخذت تمد السكك الحديدية، وتمهد الطرق. ولعلها توفق إلى وضع خطط للعمل دائمة شاملة تؤدي إلى مقاصد العمران العظيمة على مر السنين، وتوفى على الغاية المرجوة قريباً.

ثم جلالة الملك البار برعيته، المشفق عليها، يبر البلاد العربية، ويحب لها الخير، ويعمل لإحكام المودة بينه وبينها، ويأمر بالإستعانة بأولى الرأي والخبرة فيها، ويسعى جهده للتعاون معها على خير العرب والمسلمين، فقد ظفر بمودة البلاد العربية، كما ظفر بمودة الرعية.

والبلاد الإسلامية كلها ترمق خادماً الحرمين، وتحمده له تأمين الحجاج آملة الخير منه، مستبشرة بما تراه من عناية بوفود بيت الله، مستعدة لمؤازرته في كل ما يريد المؤازرة فيه واثقة ببلوغ الغاية وحسن العاقبة بتوفيق الله.

«ولسنا في حاجة إلى أن نقصى فتح الرياض، وما كان فيه من أعاجيب الشجاعة والمخاطرة، وأن نبين كيف تسلل الشاب عبد العزيز بن عبد الرحمن في جنح الظلام إلى مدينة الرياض ينتقل من دار إلى دار ومعه نفر قليل من أنصاره، ينتظرهم خارج المدينة ثلاثون رجلاً هم كل عدة هذا الأمير المقدم لفتح الرياض، حتى ظفر ابن عجلان أمير

الرياض من قبل آل الرشيد، فأصبح أهل الرياض على صوت مناد يصيح: «الحكم لله، ثم لعبد العزيز آل سعود».

وإن رجاءنا لعظيم أن تجمع الدولة السعودية ما وعت من عبر الماضي والحاضر، وتقدر ما يرجوه المسلمون منها للحرمين الشريفين وحجاجهما، وتمضى مصلحة معمرة، واثقة بمؤازرة المسلمين، وإعانتهم إياها بالعلم والصناعة والمال، على تيسير الحج والإقامة فى الحرمين الشريفين والسفر إليهما.

وإن فى الهمة العالية، والنية الصادقة، والعمل الصالح، التى أقام عليها الملك عبدالعزيز ملكه، وفيما أفادت العبر وهدت التجارب، لكفيلاً بعصر وضاء ومجد مؤثل لهذه الدولة الكريمة».

وهكذا يمكن القول إن الملك عبد العزيز يصور الشخصية الإسلامية أصدق تصوير إذا نظرنا إلى أعماله وإلى الإنجاز الحضارى النموذج؛ فى المملكة . وهو إنجاز يتسق مع مقومات الشخصية كذلك إذا نظرنا إلى تكوينه الذى جعله مستعداً لتلك الأعمال مضطهما بتلك القدرة، وإن لم يكن «من اللازم اللازب أن تقترب القدرة بالعمل الذى تستطيعه. لما يتفق أحياناً من وقوف العوائق بينها وبين الإنجاز أو الاتجاه إلى ذلك العمل» على حد تعبير العقاد ، والذى نستعير منه عند الحديث عن الملك عبد العزيز أنه «كان رجلاً ممتازاً بعمله، ممتاز بتكوينه، وكان وفاء شرط الامتياز والتفرد فى عرف الأقدمين والمحدثين، من المؤمنين بدينه وغير المؤمنين. إذا وصفته للأقدمين الذين يقيسون العبقرية بالفراسة والخبرة عرفوا من صفته أن الذى يوصف لهم رجل ممتازاً أو رجل نسيج وحده.. وإذا وصفته للمحدثين الذين يقيسون العبقرية بالعلم أو مشاهدات العلماء عرفوا من تلك الصفة أنه رجل ممتاز، أو رجل موهوب».

وقد كان الذين يعرفونه أهيب له من الذين يجهلونوه. وهذه الميزة تميز بها الملك عبد العزيز فى العصر الحديث، ذلك أن هيئته كانت قوة نفس تملأ الأفئدة قبل أن تملأ الأنظار، إلا أنه مع هذا كان فى منظر الجسد راثعاً يهول من يراه ولا يذهب الخوف منه إلا الثقة بعده وتقواه.. كان يبدو عملاقاً ذا رأس مهيب قائم فوق كتفين بديعتين

عريضتين، وأصبح بلوح فى صورة رجل رائع المظهر ألف أن يطاع، وطال عهده، بامتلاك سلطان الحياة والموت على سائر الذين يحيطون به، وإن له لعينين تشعان بريقا، وقد تخفيان أحيانا خواطره، ولكنهما تمان أبداً عن نفسه ومزاجه، فهو الفطن الحكيم الأريب حين يسبر غور النفوس أو ينظر فى أمهات المسائل، وهو الودود البسام إذا رضى وسر، والعبوس العنيف المتجهم إذا حنق وغضب، وإن له لجبينا عريضاً عالياً، وملامح مقسمة، ومعارف واضحة، وأنفاً حادا حتى ليبدو إذا نظر إليك بوجهه رأسا رصينا هادئاً السرب، وإذا نظر إليك بجانب من محياه خلته صقرا أو نسرا، مليئا قوة وأسرا، على الأهبة للضرب أو الوثوب.

وإذا عرفت حركات العربى العادى كثيرة الذبذبة والخطران، وإنه قلما يرى الهادئ فى جلسته، الجامد الساكن فى مكانه، فاعلم أن حركات ابن سعود نقيضها، فهو فيها المتزن المتشد الوقور، وإذا تحدث أجرى حبات مسبحة فى الإبهام والسبابة فى كفه اليسرى، وإذا مشى كان السريع الخطو منفرجه، ولئن كان الضخم الذى تتوء به ظهور الخيل العربية، فقد كان الفارس الذى يحسن اعتلاء الصهوات، والمناجز لأفانين النزال بالسيف والطمعان.

وقد ألف أن يعيش فى قصر، بالرياض، أو متنقلا بين القبائل عيش المتشرف، كأنه فى مخيم المحاربين ومضارب الجند المقاتلين، لا يبالى راحة، ولا يعنى بترف، ولا يلمس نعماء، فقد كان مضجعه فى القصر سريراً من الحديد وثيابه بادية البساطة، لا يألف الحرير، ولا يشتمل بالديباج، وكل ما فيه من زينة قليل من زركشة أو تطريز على قبائه، وأسلاك مذهبة حول عقاله، وهو سريع التأثر بالروائح، كأكثر الذين لا يدخنون التبغ، ويحبون حياة نقية، ويعيشون عيشا لانشوبه الأكدار، فإن الروائح غير الزكية، تؤذى احساسه، وتثير مشاعره، وهو لهذا يقبل أحيانا على التعطر، ويستريح إلى الأرج، ويحب رائحة الورد خاصة وعطره الفواح.

وأكثر طعامه فى وجبة الصبح بعض الفطائر الصغيرة المزيجة بالسكر، وقليل من اللبن - الرائب -، وتتألف وجبة العشاء من أرز ولحم وخبز وثمرات وشرابه الماء القراح وإن كان من عادته أن يتناول القهوة والشاي عدة مرات فى سحابة النهار، ويحب ألا توقد

المواقف والمدافىء فى حجراته أو مضاربه، حتى إن اشتد البرد كما هى الحال فى ليالى الشتاء فوق الهضاب، وهو أبدا يقظان ذووب مترقب، قليل النوم، لا تتجاوز ساعاته فى الأغلب الأعم ثلاثا أو أربعاً فى اليوم، لا من أرق يغلب عليه، ولا من سهاد يؤرقه، وإنما لأنه روض نفسه على هذا القدر بحسب، حتى يتفرغ للعمل، ويتسع له الوقت لتأديته، بلا فائدة فقد كان أمامه عمل كبير يؤديه، ويرى الزمن غير مسعفه عليه، وفى ذلك يقول مقال شكسبير، وإن لم يدر أنه قائله من قبله: «إن النوم هو الموت الأصغر «أو» الموت والنوم توأمان...»<sup>(١)</sup>.

ويمكن أن نستعير فى هذا الصدد كذلك من قول العقاد، ما ينطبق تمام الانطباق على شخصية الملك عبد العزيز فى العصر الحديث: «تشهد العيون كما تشهد القلوب أنه لمن معدن العظمة أو معدن العبقرية والامتياز بين بنى الإنسان، وللمحدثين علامات فى العبقرية تتصل بالتكوين وتركيب الخلقة كما تتصل بمدلول الأخلاق والأعمال.. فالعالم الإيطالى «لومبروزو» ومدرسته التى تأتم برأيه يقررون بعد تكرار التجربة والمقارنة أن للعبقرية علامات لاتخطئها على صورة من الصور فى أحد من أهلها.. وهى علامات تنفق وتتناقض ولكنها فى جميع حالاتها وصورها نمط من اختلاف التركيب ومبايسته للوتيرة العامة بين أصحاب التشابه والمساواة فىكون العبقري طويلا بائن الطول، أو قصيرا بين القصير، ويعمل بيده اليسرى أو يعمل بكلتا اليدين، ويلفت النظر بغزارة شعره أو بنزارة الشعر على غير المعهود فى سائر الناس.. ويكثر بين العبقريين من كل طراز جيشان الشعور وفرط الحس وغرابة الاستجابة للطوارئ، فىكون فيهم من تفرط سورته كما يكون فيهم من يفرط هدوءه، ولم على الجملة ولع بعالم الغيب وخفايا الأسرار على نحو يلحظ تارة فى الزكافة والفراسة، وتارة فى النظر على البعد، وتارة فى الحماسة الدينية أو فى الخشوع لله.

«ومهما يكن من الشك فى استقصاء هذه العلامات والمطابقة بين تفصيلاتها وبين الواقع فهى بلا ريب صادقة فى حالات، ومقاربة فى حالات، غير أهل فى كل حال

(١) عبد الرحمن نصر: عاهل الجزيرة، ص ١٢٤.

للتصديق التام ولا للنبد التام، ولا سيما عندما تنفق فيها الظواهر والبواطن وتتلاقى فيها ملاحظات العلماء وشواهد العرف الماثورة»<sup>(١)</sup>.

وفى عبد العزيز من هذه العلامات كثير. فقد ألفت السرعة فى إنجاز الأعمال والتركيز، وإن له لذاكرة عجيبة حتى ليملى ما يشاء بسرعة على كاتبين اثنين فى وقت واحد، وموضعين مختلفين، ملقيا جملة لأحدهما، وأخرى لصاحبه، مقبلا على كاتب منهما، ومثنيا عنه إلى زميله، وناظرا ريشما يفرغان من تدوين ما أملاه عليهما فى مسألة من المسائل أو باحثا مع وزير فى شأن من الشؤون، وإن ظل كل شئ جليا مستقلا قائما بذاته فى أعماق خاطره فلا تزعجه المقاطعة، أو تفسد عليه تفكيره بل قد يتناول الموضوع الطارئ وسط هذا الإملاء المزدوج، فيبحثه ويقضى فيه، ثم يعود إلى ما كان يعالجه من النقطة التى وقف عندها، كأن لم يقاطعه شئ، ولا سبق إليه بموضوع جديد، وإن تفكيره ليظل ناشطا متفرغا للعمل، فى غير كلال أو جمود.

وكان يعيش فى الرياض وسط روعة بادية وجلال ظاهر، وقد بدأ يعيد كثيرا من نواحي قصره ويوسع فى رحابه ويمد فى رواقه، حتى جعله فى وقت قصير يشغل ثلث المدينة، وأقام من حوله سورا فخما ذا أبراج فى مختلف نواحيه وفوق مداخله الرحيبة، وجعل قاعة الاجتماع فيه فسيحة الجوانب، حتى لتسع لثلاثة آلاف جالس، وقد صفت من حولها الأرائك، وفرشت أرضها بالبسط، وبنهض سقفها فوق صفوف من الأعمدة البيض.

ويقوم فى القصر عدد كبير من الخدم وحرس ضخيم يضم طائفة من العماليق بينما تتألف البقية من النجديين الذين عنى باختيارهم خاصة لهذا الغرض، وهم فى ثياب ناصعة، ومن فوقها أقبية مذهبة، ويحملون مسدسات وأسياف طوال النصال مفضضة المقابض وهم راتحون غداة فى تنفيذ أوامر المولى العظيم «ومشاويره».

ولا يخلو فناء القصر لحظة من حشد كبير من الناس بين منبطحين على الثرى أو جالسين القرفصاء على المقاعد والدكك المسندة إلى الجدران، إذ تقوم تحت طبقات القصر المطابخ الواسعة التى اعتاد ابن سعود أن يطعم منها مئات الناس فى كل يوم ويقدم

(١) العقاد: عبقرية عمر، ص ١٩.

إلهم القصاع الملالى أرزا ولحما متصاعدة الدخان، ويطاف عليهم بالثريد والخبز واللبن  
المخضوض.

وتحت القصر أيضاً تقوم مخازن كبيرة للثياب، وقد ألف ابن سعود يوزع منها الأكسية  
على المحاويع، ويهدى منها إلى الأضياف، ولئن كان المتكشف فى عيشه، فقد كان الكريم  
المبذال للناس، حتى ليبلغ به الندى حد الإسراف. وقد احتج وزير من وزرائه يوماً فكان  
جوابه: «لم يسبق لى ولأحد من أجدادى أن حفظنا صندوقاً أو خزانة لجمع المال، وما  
للمال المخزون من خير أو نفع، والا...، فخبيرنى: ماذا أجدت على السلطان عبد الحميد  
ملايينه...؟؟؟»، «وقال يوماً لآخر نحن نحصد ما نزرع، فإن أحسنت فى السلم والرخاء  
زرعاً، حصدت الثمار فى أيام الحرب والشدائد والخطوب، وإنى فى السلم لا أتردد فى  
بذل شىء، حتى قبائى هذا - واتثنى يلمس القباء الذى عليه - لمن يحتاج إليه، وفى  
الحرب أسأل شعبى فيعطينى كل ما لديه».

وهو شديد الاعتزاز بعشيرته، الموفى لهم حقوقهم قبله، الحريص على تأدية واجباته  
لهم، وقد بنى يومئذ بأرملة أخيه سعد وتبنى أولاده كواجب عليه واعتاد أن يزور كل يوم  
جميع أفراد أهل بيته وأولادهم وأخته «نورة» وكانت أمه قد توفيت منذ بضع سنين،  
وآلف التردد على زوجاته فى الحرم والجلوس قليلاً مع أبيه الإمام عبد الرحمن لیسأله  
النصيحة، فيما يعرض له من كبار الشئون.

وإذا فرغ من عمله اليومى مبكراً فى بعض الأحيان خرج فى هدأة المساء وعلائل  
أنسامه على صهوة جواده فى رفقة حراسه، ومن حوله موالیه، للرياضة بين البساتين  
وآكام النخيل وراء أسوار المدينة، فإذا ما احتواه الفضاء خارجها، وغادر الأفق الخانق  
المألوف فى داخلها، انطلق كالشباب المرح، والفتى المتوثب يلاعب أولاده، ويجاريهم،  
ويمزح الذين من حوله، ويداعب مرافقيه، ويرسل فى الفضاء ضحكات عالية، كلما  
انطلت على أحد منهم نكتة عملية، أو «فصل» لطيف من فصوله، ولا يغضب أو يستاء  
إذا قابله بالمثل، وبادلوه مزاحاً بمزاح، وقد يشرع فى إعداد مباراة أو ينظم مباراة أو منزلة  
غير جدية، مكثراً من القفز والعدو والركض، والصراخ، متحدياً حراسه أو أخوته فى

مسابقتها أو المباراة فى الرماية بالبنادق على بعض الاهداف، وانه ليسوؤه ان يغلب، ويفرح ويسر اذا خرج منها الفائز الغالب كانه الغلام المرح الطروب»<sup>(١)</sup>.

وقد ذكرنا فى مستهل هذا الفصل ان «الشخصية الإسلامية» هى التى تجمع أخلاق الملك عبد العزيز وأفكاره فى أعطافها كما تسيطر على دوافعه وسوراته. وهنا نرى تقاربا بين شخصيته وبين طبيعة «الجندي المسلم» ذلك أن أهم الخصائص التى تتجمع لطبيعة الجندي المسلم فى صفتها المثلى؛ هى : الشجاعة والحزم والصراحة والخشونة والغيرة على الشرف والنجدة والنخوة والنظام والطاعة وتقدير الواجب والإيمان بالحق وحب الإنجاز فى حدود التبعات أو المسئوليات.

«هذه الخصائص قد تجمعت بعد ألوف السنين من تجارب الأمم فى تعبئة الجيوش حتى عرف الناس أخيرا أنها لازمة للجندي فى أمثل حالاته. فما من خاصة منها يستغنى عنها الجندي الكامل الذى تحلى بأجمل صفاته والزمها لتحقيق وجوده»<sup>(٢)</sup>.

ولسنا فى حاجة إلى التنقيب طويلا عن واحدة من هذه الخصائص جميعها فى نفس عبد العزيز، فهو الشجاع، الحازم، المطيع، الغيور على الشرف، السريع النجدة، المحب للنظام، المؤمن بالواجب والحق، الموكل بالإنجاز، العارف بالتبعات والمسئوليات.

«فالنظام مثلا ليس بالخلق الأصيل فى الجندي الباسل. فقد ينساق إليه بطبعه وقد يحتاج إلى تعوده، وإدماهه حتى يكسبه بطول المراتة»<sup>(٣)</sup>.

لكن النظام كان خلقا أصيلا فى طبيعة الملك عبد العزيز، حتى فيما يتفرع عليه، يقول الشيخ إبراهيم السليمان: «إذا تصفحنا سيرة جلالتة من أول يوم تربع فيه على عرش هذه المملكة إلى اليوم وإلى ما بعد اليوم، فسوف نجد فى هذه السيرة كلها شخصية واحدة ميزتها الأولى تقوى الله. فهو يخاف الله فى كل شىء، ولا يتصرف ولا يحكم ولا يأمر ولا ينهى إلا على أساس ما يشعر ويعتقد أنه هو الحق الذى يرضى الله، فمن المستحيل أن يتحكم الباطل أو الغرض والهوى فى تصرفاته وأوامره وإجراءاته وتلك مسألة لا يختلف فيها اثنان.. ومن كان هذا شأنه فهو ملك عادل.

(١) عبد الرحمن نصر: المرجع السابق، ص ١٢٥، ١٢٦.

(٢) العقاد: عبقرية عمر، ص ٦٤.

(٣) المرجع نفسه، ص ٦٥.

وهو شجاع مقدم فيه كل صفات البطولة الممتازة، يقر له بذلك كل من عرفه. وحتى الذين كانوا أعداءه وخصومه لم ينكروا أنه بطل مغوار. ولبطولته وشجاعته حكايات وقصص تعد من غرائب الخيال عندما نسمعها اليوم وإلى الآن.

وهو بعد ذلك وقبله كريم ولا مبالغة إذا قال القائل: إنه ممن يضرب بهم المثل في الكرم، كالذين نسمع عنهم من أمثال حاتم الطائي وغيره وقصصه في هذا الميدان أكثر وأعظم من أن يحصيها الإنسان، مهما كانت ذاكرته وإحاطته بتاريخ الملك عبد العزيز.

وتحدث بعد ذلك عن إرادته القوية، وعزمه الحديدي، وعمّا يأخذ به نفسه من نظام صارم دقيق في كل لحظة من لحظات تاريخه الممتاز. وتحدث عن رأيه واعتداده بنفسه الذي يستمدّه من إيمانه بالله أولاً وقبل كل شيء. وتحدث عن وفائه، وإحسانه، وحلمه وعن سائر مزاياه وصفاته المتعددة، فلست تجد فيها إلا ما يبهر ويعجب، ولذلك توفرت للملك عبد العزيز الشخصية التي لا يسع كل إنسان مهما كان عظيماً أو مؤرخاً، وعدواً، أو صديقاً من الشرق أو من الغرب - إلا أن يطأطأء رأسه أمام جلال هذه الشخصية، وبأسها القوي في كل مظهر من مظاهرها التي لا يتكلف فيها شيئاً غير طبيعي وأصيل فيه أياً كان زائره ومحدثه بدون تفريق وليس ذلك إلا لأن شخصيته القوية فيهما ما يغنيه عن أى مظهر يتصنعه ويلبسه عند اللزوم، كأغلب الشخصيات في كل عصر وجيل.

مثل هذه الشخصية، كيف لاتعجز أقلام المؤرخين والمؤلفين والشعراء عن إعطائها حقها من البحث ومن التحليل، مهما كانت هذه الأقلام بارعة في فنون الكلام».

يصف د. محمد حسين هيكل؛ الملك عبد العزيز؛ ويذهب إلى أنه يمثل «عبقريّة الصقر السياسيّة» في قوله: في النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي بدأت في البلاد العربية نهضة طامحة، غرضها أن تنسم البلاد العربية من مراقي الحضارة الحديثة ما يؤهلها لها ماضيها المجيد، وثراؤها الطائل وملكات أبنائها المتوثبة إلى أسباب العزة والمجد.

فلما قامت الحرب العالمية الأولى، ونادى المنادون فيها بأنهم يريدون للعالم الحرية والسلام، زاد اندفاع الشعوب العربية في سبيل نهضتها، وضاعفت هذه الشعوب

اندفاعها حين قضت تلك الحرب العالمية الأولى على الإمبراطورية العثمانية، وتضافرت العوامل السياسية والاجتماعية والاقتصادية على تغذية هذه النهضة.

وتاريخ البلاد العربية بعد يقظتها، جدير بالعناية، والتأمل الطويل في تطور الحوادث تطورا صاغه الملك ابن سعود بحكمة وحزم، وحسن سياسة كان لها أثرها في إقرار السلام في شبه الجزيرة العربية، وفي توجيه النهضة في تلك الأرجاء توجيهها صالحا ييشر بخير النتائج.

وها هو ذا الملك عبد العزيز يقول مؤكدا ما نذهب إليه حول طبيعة الجندي المسلم «لست ملكا بمشيئة أجنبية، بل أنا ملك بمشيئة الله ثم بمشيئة العرب الذي اختاروني وبإيعوني. على أنها ألقاب وأسماء! فما أنا إلا عبد العزيز، قال العرب إنتى ملك، فرضيت قولهم وشكرت ثقتهم. وفي اليوم الذي يريدوننى زعيما لهم أعود إلى الصف وأحارب معهم بسيفي، كأصغر واحد فيهم دون أن ينال نفسى شىء من الغضاضة.  
«أنا بينهم الآن لأقيم حكم القرآن والسنة».

ومن أقدم ما كُتب عن الملك عبد العزيز، كلمة الأمير «ضارى بن فهيد» من آل رشيد.. أملاها سنة ١٣٣١هـ (١٩١٣م)<sup>(١)</sup> قال فيها: «أما ابن سعود، عبد العزيز بن عبد الرحمن بن فيصل، فهو رجل شجاع صاحب سياسة في قومه، وله تصرفات في الحرب ومكائد أكثرها ينجح.

«وهو مديد القامة، حتى إنه لم يكن في نجد اليوم أطول منه، وهو مع ذلك متناسب الأعضاء، حسن الوجه أبيض، وشعره أسود، خفيف اللحية والعارضين، وهو جواد محبوب، ذو رافة بعشيرته وممالكه».

وفي العام نفسه ١٣٣١هـ (١٩١٣م) كتب سليمان الدخيل<sup>(٢)</sup>: «صفا الجوالابن سعود، وأخذ بتوسيع نطاق ملكه. ومازال على هذه النية إلى أن احتل الأحساء والقطيف ودارين. في هذه السنة (سنة ١٣٣١هـ) وهو اليوم مقيم في نجد، ويلقب بالإمام. وهو أمير

(١) نبذة تاريخية عن نجد. نشرتها دار اليمامة للبحث والترجمة النشر سنة ١٣٨٦ (١٩٦٦م).

(٢) لغة العرب البغدادية ٣: ٢٩٨.

عادل كريم شجاع سياسى ذو رأى متين وفكر مصيب، وعلى جانب رفيع من العزم والحزم والدهاء.

ويقول د. هيكل<sup>(١)</sup>: «ابن سعود، هو الذى مهّد للوحدة فى شبه الجزيرة. وهو الذى لفت أنظار المسلمين فى مختلف أنحاء العالم إلى البلاد العربية وأهلها، ولم يكن يفكر فيها أحد من قبل إلا من جهة أنها البلاد المقدّسة».

كما يقول العقاد<sup>(٢)</sup>: «ابن سعود، من أولئك الزعماء الذين يراهم المنفوسون المتوسمون فلا يحارون فى أسباب زعامتهم، ولا يجدون أنفسهم مضطرين أن يسألوا لماذا كان هؤلاء زعماء.. لأن الإيمان باستحقاق هؤلاء لمنزلة الزعامة فى أقوامهم. أسهل كثيراً من الشكّ فى ذلك الاستحقاق».

أما القائد عزيز على المصرى فيقول<sup>(٣)</sup>: «اهتمام ابن سعود بالأسلحة الحديثة وشجاعته وقدرته على تحمّل المشاق، وبعده عن الترف، وذكاؤه، وصدق عزيمته، وسخاؤه، كل هذا يجيز لنا أن نتظر منه العظام».

ويقول محمد أبو الفتح سنة ١٩٣٠ «ليس ابن سعود من أعظم رجال القرن العشرين فحسب، بل هو من أعظم رجال التاريخ كله».

«ولست أنا الذى أصدر هذا الحكم، وإنما أصدره إنجليزى عرف عبد العزيز من زمان طويل، وتتبع سيره منذ كان فتى شريداً طريداً إلى أن أصبح الملك المطلق فى جزيرة العرب».

ويقول هونى عبد الهادى سنة ١٩٣٦<sup>(٤)</sup>: «شيثان هائلان فى الجزيرة: الصحراء وابن سعود، ابن سعود عبارة عن عالم (بفتح اللام) فى رجل ملم كل الإمام بدخائل ملكه، مؤمن متدين إلى حد عظيم. قالوا: إن الذى يصغى إليه وهو يقرأ كتاب الله فى الليل لا يملك نفسه عن البكاء».

(١) كتابه «فى منزل الوحي».

(٢) فى كتاب «صقر الجزيرة».

(٣) مذكرات أسعد داغر ١٩٧٠.

(٤) توفى فى القاهرة، سنة ١٣٩٠هـ (١٩٧٠م).

أما جميل مردم<sup>(١)</sup> فيقول «الملك ابن سعود، من الرجال الذين لايجود الزمن يمثلهم بسهولة. وقد انقضى خمسمائة عام كاملة من دون أن يأتي مثله».

ويؤكد د. عبد الرحمن عزام أن الملك عبد العزيز يمتاز فوق «خصال الشجاعة والكرم والعقل، بتبسطه في الحديث، وعدم التكلّف فيه، والمؤانسة لزاثرة. وهو في جزيرة العرب ليس ملكاً فحسب، بل رئيس أسرة. ومن عجيب شأنه أن هذه الأسرة جمعت خصومه الأولين وأعداءه وأولياءه في ساحته. وكان مما يعجبني. وقد تشرفت بأن كنت ضيفاً له مرتين، أن أرى على مائدته أو في الصيد معه، أولئك الذين قاتلهم أو قاتل آباءهم من قبل، يعاملون معاملة الاخوة والأبناء».

وقال المازني سنة ١٩٣٦: «سيخلد التاريخ ذكر الملك الحكيم عبد العزيز الفيصل».

كما قال خليل ثابت في (المقطم) ٧ يناير ١٩٣٩<sup>(٢)</sup>.

«إن الذين عرفوا الملك عبد العزيز، قبل الحرب الكبرى وبعدها، يشهدون بأنه أبدى من الشجاعة والعبقرية السياسية ما أبلغه بحق إلى المقام الذي صار إليه. ولم يكسب هذا المقام بشجاعته ومقدرته العبقرية وحدهما، بل أبدى من المقدرة الإدارية وتنظيم الأحكام ما مكّنه من تحقيق إصلاح كبير في بلاد حرمت أسباب الثروة والعلم، واشتهرت بما يضطرم فيها من نيران الحقد والمنافسة. فعرف هذا الملك كيف يسوسها، ويوفق بين نزعات أهلها، ويلطف من الطباع».

وتأسيساً على هذا الفهم، يتضح لنا أن صورة البناء الحضاري في المملكة العربية السعودية، والتي انطبعت في مرآة الفكر العالمي من خلال شخصية الملك عبد العزيز، تؤكد لنا أن وحدة المملكة العربية السعودية هي بحق - كما يقول خادم الحرمين الملك فهد بن عبد العزيز حفظه الله - أول وحدة في التاريخ العربي الحديث». وحسبنا هذا المعنى حين نتناول في هذا الكتاب الطابع العام للأمم؛ وصورتها في أذهان الآخرين؛ وهي صورة يحددها لنا خادم الحرمين الملك فهد بن عبد العزيز في سياق حديثه عن مناقب الوالد الموحد الملك عبد العزيز مستلهما ما

(١) توفى في القاهرة سنة ١٣٧٩هـ (١٩٦٠) ودفن بدمشق.

(٢) توفى في القاهرة سنة ١٣٨٣هـ (١٩٦٤م)

كان يتطلع إليه لتقدم البلاد ورفقيها. وهى الركائز التى تقوم عليها صورة الطابع العام للشخصية الإسلامية، وفى مقدمتها: تطبيق الشريعة الإسلامية؛ والتى كانت أولى أولويات الملك عبد العزيز؛ والمسيرة التنموية التى بدأت من توحيد المملكة وظلت شاغلا لجميع قادة المملكة؛ وهى الركائز التى نثبتها فى هذا الكتاب من خلال حديث خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز حفظه الله.

إذ أدلى خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز حفظه الله بحديث مطول لوكالة الأنباء السعودية بمناسبة ذكرى اليوم الوطنى للمملكة العربية السعودية بحضور معالى وزير الإعلام الدكتور فؤاد بن عبد السلام الفارسى.

وفىما يلى نص الحديث الذى أجراه الأستاذ بدر بن أحمد كريم المدير العام للوكالة:

مولاي خادم الحرمين الشريفين.. فى هذا اليوم المبارك الذى نستعيد فيه ذكرى يومنا الوطنى فإن المواطن يشعر بأحاسيس تعيد إلى ذهنه معنى هذا اليوم ودلالاته.

✽ هل تفضلون بالإعراب عن هذه الأحاسيس.

✽ بكل بساطة أقول إن شعورى وأحاسيسى فى يومنا الوطنى هو شعور وأحاسيس كل مواطن يقدر معنى هذا اليوم ودلالاته ويستلهم منه العزم على الحفاظ على المكتسبات التى توجت بتوحيد المناطق والأقاليم التى تتألف منها المملكة العربية السعودية، والمضى قدماً فى طريق التقدم والتطور والازدهار. وهو ما تحقق بالفعل بفضل عون رب العزة والجلال وما أفاء الله به على هذا الوطن من نعم وخيرات لاتعد ولا تحصى، لقد كانت وحدة مناطق المملكة العربية السعودية أول وحدة حقيقية فى التاريخ العربى الحديث.

وفى هذا اليوم يجب علينا الحمد والشكر لله سبحانه وتعالى الذى جعل من هذه الدولة ماهى عليه من تقدم وتطور ومن مركز دولى متميز، وما تقوم به من خدمة الحرمين الشريفين ورعاية ملايين الحجاج الذين يفدون إليها فى الأيام المعلومات من كل عام وكذلك المعتمرين والزائرين الذين يفدون على مدار العام.

✽ مولاي خادم الحرمين الشريفين.. هناك إجماع بين كل من كتبوا أو تحدثوا عن

جلالة موحد هذا الملك الشامخ الملك عبد العزيز، على أنه كان يتصف بصفات نادرة كان لها بتوفيق الله دورها في الإنجازات التي حققها جلالة رحمه الله.

\*\*\* إن المجال لا يتسع لتعداد مناقب الملك عبد العزيز الفذة وصفاته الفريدة التي لفتت انتباه الباحثين المنصفين، ولذا أكتفى بإيراد أبرز مناقب الملك عبد العزيز وصفاته وهي: إيمانه المطلق بالله تعالى. وهو إيمان يرجو العون من الله ويعتمد عليه في كل شؤونه. وفي جميع الخطابات والكلمات التي تحدث بها رحمه الله نجد هذه الحقيقة واضحة وساطعة وهي تفسر في (رأى) كل عمل أنجزه وكل تصرف أخذ به، فمن منطلق هذا الإيمان نجد أن من الأولويات التي أولاهها اهتمامه منذ بدء تأسيس المملكة إقامة شرع الله وذلك بتطبيق الشريعة الإسلامية السمحة.

وكان هذا هو أول وأهم ما وجه الملك عبد العزيز عنايته له وهو الأساس الذي قام عليه بنيان المملكة منذ توحيدها، بعد هذا نجد أن من أهم صفات الملك عبد العزيز الحكمة، وهي حكمة فطرية كانت من أهم العوامل في توجيه خطواته.

وماذا أقول أيضاً عن مناقب الملك عبد العزيز وصفاته... فمع الإيمان ثم الحكمة نجد الشجاعة وقوة الإرادة والصبر والقدرة على الاحتمال.. والحلم والكرم وإضافة إلى ذلك فقد كان قلبه دوماً يخفق محبة وعظفا على سائر أبناء وطنه. وكثيراً ما كان يقول إنه يعتبر الكبير أباً والأوسط أخاً والصغير ابناً، وهذه الرؤية لاتغيب عن بالى أبداً وأبذل الجهد لكي أقتفى أثرها وأسير على خطاها في مختلف مواقع المسؤوليات التي أنيطت بي.

\*\*\* وأنتم يا مولاي تتحدثون الآن عن الملك عبد العزيز فما هو مدى تأثركم بشخصيته وأسلوب تصرفاته؟

\*\*\* لقد كان جلالة الملك عبد العزيز بتوفيق الله المثل الأعلى والقدوة الحسنة. ورغم صغر سنى نسبياً إذ ذاك فقد كنت مهتما بتتبع كل ما يصدر عنه من القول أو الفعل، ومن هنا فإن تأثرى بشخصيته كان تأثراً تاماً وعميقاً.

\*\*\* وماذا يا مولاي عن طريقته في التعامل مع أبنائه؟

\*\*\* كانت طريقة مثالية في التعامل معهم فقد كان يجمع إلى جانب الحزم في تربيتهم رقة القلب والعطف والحنان.

\* المطلع على تاريخ المملكة العربية السعودية يرى أن المسيرة التنموية بدأت منذ عهد  
جلالة الملك عبد العزيز نود أن نسمع من مولاي عن هذه المسيرة؟

\*\* هذه حقيقة تاريخية ثابتة.. فلقد كان من المزايا التي اتصف بها الملك عبد العزيز  
رحمه الله أنه كان رجل دولة موهوبا رغم الظروف القاسية التي مرت به.

وهنا كثير من المشروعات التنموية التي نفذها جلالتة في حينها رغم قلة موارد البلاد..  
هناك على سبيل المثال اهتمامه بوسائل الاتصال والمواصلات في ضوء المساحات الشاسعة  
التي تتألف منها المملكة العربية السعودية. لقد أدخل الهاتف السلكي واللاسلكي لهذا  
الغرض وكانت تلك أول مرة تدخل فيها هذه الوسائل لشبه الجزيرة العربية.

وأدخل الطائرات كوسيلة للمواصلات الداخلية، وأصر على تنفيذ مشروع الخط  
الحديدي الذي يصل ما بين المنطقتين الشرقية والوسطى. وكانت هناك صعوبات فنية في  
تنفيذ هذا المشروع بحكم أن الخط سيمتد عبر أراضي صحراوية ذات كثبان رملية عاتية،  
ولكنه تمسك برغبته في إنشاء الخط وتحقق ذلك بالفعل. ولانسى أيضاً إيصال مياه عين  
العريزية من وادي فاطمة إلى جدة التي كانت تعاني من شح المياه، وأيضاً تنفيذ بعض  
المشروعات الزراعية. وبالإضافة إلى ذلك مجانية التعليم ومجانبة الرعاية الصحية  
ومشروع توطین أبناء البادية في الهجر. وفوق هذا كله عمارة وتوسعة الحرمين  
الشريفيين.

إننا وبعد مرور أربعين عاماً ونيفاً على غياب الوالد الموحد نستلهم ما كان يتطرق إليه  
من تقدم ورقى لبلاده، ولا يغيب عن الذهن أن المسيرة التنموية بدأت في عهد جلالة  
الملك عبد العزيز وموارد الدولة قليلة وشحبة، ومن هنا تبدو لنا قيمة الإنجازات  
التي تحققت فالتنمية رسالة حملتها القيادات السعودية تنفيذاً لتطلعات المليك الموحد عبر  
المؤسسات التعليمية.

\* هذا يعنى يا مولاي أنكم شخصياً تجنون اليوم ثمار الغرس الذي غرستموه إذ ذاك  
عندما توليتم بل أسستم وزارة المعارف.

\*\* سأقول شيئاً قد لا يعرفه الكثيرون. ففي العام ١٣٧٣ الهجرى الذى يصادف

العام ١٩٥٣ الميلادى أصدر الملك عبد العزيز مرسوما ملكياً بإنشاء مجلس للوزراء، ولكنه طيب الله ثراه توفى قبل تشكيل المجلس.

وفى عهد جلالة الملك سعود رحمه الله، شكل أول مجلس للوزراء. وكان يتضمن استحداث وزارات جديدة تلبية لمتطلبات الحاجة، بحيث أصبح عدد الوزارات إذ ذاك تسع وزارات. وكانت وزارة المعارف هى إحدى الوزارات المستحدثة. وعندما اجتمعنا والملك سعود والملك فيصل رحمهما الله وعدد من الإخوة لتشكيل أول مجلس للوزراء قلت له: إذا كان لنا أن نتطلع إلى غد أفضل وإلى وطن أرقى وإلى مستقبل أحسن فإن ذلك لا يتم ولن يتم إلا عن طريق نشر العلم والتعليم، المبين على أساس من العقيدة الإسلامية السمحة. ولذا فإننى أرغب فى تولى وزارة المعارف.. وهكذا كان الأمر الذى لا يعرفه كثيرون أننى أنا الذى طلبت أن أتولى وزارة المعارف.

إننى وأنا أتطلع إلى السنوات التى مرت منذ ذلك التاريخ وحتى اليوم - أبصر ضخامة الإنجاز الذى تحقق عبر وزارة المعارف ومن تولاها بعدى من الوزراء. كانت لدينا بالتحديد ثلاث وأربعون مدرسة ابتدائية وأربع مدارس ثانوية ومدرسة تحضير البعثات والمعهد العلمى السعودى، وكان التحدى الكبير الذى واجهناه هو نشر العلم والتعليم وفى جميع أنحاء المملكة دون استثناء.

وكان إنشاء جامعة سعودية هو شغلى الشاغل.. وكما قلت مراراً فى السابق فإننى أعتبر السنوات السبع التى قضيتها فى وزارة المعارف من أجمل وأعز أيام حياتى ومازلت أذكرها بالشوق والحنين، وأن أسعد أيامى عندما أجد رجال العلم والتعليم من حولى أستمع إليهم وأناقشهم لأتعرف على مآلديهم من أفكار، فاليوم ومن فضل الله تعالى أصبحت لدينا سبع جامعات أنشئت جميعها على أرقى الأسس التعليمية والتقنية وأكثر من ستة عشر ألف مدرسة من مدارس التعليم العام وفى هذه المدارس نحو أربعة ملايين من أبنائنا وبناتنا يتلقون التعليم العام بمختلف مراحل.

\* النهضة التعليمية الكبيرة التى تمت هى - يا مولاي - جزء من نهضة شملت كل مرافق الحياة فى المملكة العربية السعودية.. فكيف تم ذلك؟

❖❖ هذا حديث طويل.. طويل جدا.. على أنه يمكن القول إن المسيرة التنموية بدأت منذ توحيد المملكة العربية السعودية. وظلت هذه المسيرة شاغلا لجميع القادة الذين تعاقبوا على سدة المسئولية منذ عهد الملك العزيز وحتى الوقت الحاضر.. ومن طبائع الأمور أن المشروع التنموي أى مشروع حين يوضع فى قلبه العلمى والتقنى فإن تنفيذه ونتائجه تكون أفضل.

ومنذ العام ١٣٩٠هـ والمملكة العربية السعودية تأخذ بالتخطيط التنموي عبر الخطط الخمسية الخمس التى نفذتها حتى الآن فضلا عن الخطة السادسة التى هى رهن التنفيذ.

ومن هنا فإن الخطوات التنموية باتت تعتمد على الإحصاءات والمعلومات والحصص الشامل لمطالبات كل مشروع، ولقد رافقت هذه المسيرة منذ بدايتها وتابعت الصعوبات والمشكلات التى لا تحصى عند تنفيذ كل مشروع بل حتى عند دراسته وتخطيطه، وأنا شخصياً لا أحب أنصاف الحلول ولا الحلول القاصرة والعاجزة وبالمقابل فإننى حين أدرس أحد المشروعات فإننى أتطلع إلى تنفيذه بأقصى ما يمكن من الإتقان والتكامل كما أننى آخذ فى الاعتبار أن يؤدى المشروع مهمته إلى أطول مدة ممكنة.

ومن فضل الله تعالى علينا أن وفقنا إلى إنجاز ما تحقق حتى الآن فى مختلف مرافق حياتنا مما يعتبر سابقة حضارية فريدة، لقد حققنا بعون الله فى ربع قرن ما عجز عنه الكثيرون، من كان يتصور أن تشرب الرياض والمدينة المنورة ومكة المكرمة وأبها - وهى مدن داخلية - من مياه الخلية العربى والبحر الأحمر المحلاة عبر إنشاءات هى قمة فى التقنية العصرية اجتازت مئات الكيلومترات متخطية سلاسل الجبال والأودية العميقة لتقدم الماء سائغاً عذباً لسكان تلك المدن؟

وفى تهامة كانت هناك منحدرات صخرية صلبة تفصل بين المنطلق الساحلية والمناطق الداخلية وكان اجتيازها متعذراً بل مستحيلاً، ولهذا سماها الأهالى بالعقبات، لم يكن يمكننا الوصول إلى تلك القمم إلا بطائرات الهيلوكبتر، واليوم فالعقبات لم تعد عقبات بعد أن تخللتها الطرق الحديثة بأنفاقها وجسورها فاتصل الساحل بالداخل فى تهامة لأول مرة فى تاريخ المملكة.

وهذه العقبات نفذت مشروعاتها بأعلى مستوى من الدقة والإتقان واضطر المخططون المنفذون إلى ابتكار حلول تقنية لعشرات المشكلات والصعوبات التي واجهتهم، حتى أمكن التنفيذ بذلك المستوى العالى. من كان يتصور فى تلك المدة القصيرة أن شرق المملكة وغربها مرورا بالمنطقة الوسطى يصبح وحدة تقنية واحدة فى الصناعات الهايدروكروبنية من خلال مدينة الجبيل الصناعية على ساحل الخليج العربى وينبع الصناعية على ساحل البحر الأحمر وبينهما الأنوب العملاق المسمى (من الشرق إلى الغرب) الذى ينقل البترول الخام إلى ينبع الصناعية؟.

من كان يتصور أن تكتسى المدن السعودية جميعها حللا من العمران والحدائق والشوارع ومنشآت البنية الأساسية خلال مدة قصيرة من عمر الزمن؟ والقول نفسه ينطبق على كل مناحى الحياة: الطرق والجسور والأنفاق والمطارات والموانئ والمستشفيات ووسائل الاتصال والمؤسسات الاجتماعية والمصانع والأراضى الزراعية وتوسعة الحرمين الشريفين فى مكة المكرمة والمدينة المنورة.

إن ما تحقق تم بفضل الله سبحانه وتعالى ثم بتضافر جهود الدولة مع جهود المواطنين الذى كان لهم دورهم فى تطوير بلادهم بالشكل الذى نراه الآن، وبناء وطن عزيز كريم متطور متحضر أخذ بأحدث معطيات الحضارة الحديثة.

\* الحديث عن الإنجازات التنموية يؤدى إلى الحديث عن الاقتصاد السعودى الذى هو الأساس الذى قامت عليه تلك الإنجازات، فماذا يمكن أن تفضّلوا بالحديث عنه حول الاقتصاد السعودى؟

\*\* بادية الأمر أود أن أقول إنه لا توجد اليوم دولة على وجه الأرض ليس لديها مشكلات أو صعوبات اقتصادية، ومع هذا فقد حرصنا على ثلاثة أمور جوهرية يمكن اعتبارها أساس سياستنا الاقتصادية.

**الأول:** هو الا يتأثر المواطن بأى شكل من الأشكال بتداعيات الصعوبات الاقتصادية وأن نحفظ له مكتسباته.

**الثانى:** قيام الدولة بالتزاماتها تجاه المتعاملين معها من المؤسسات وشركات المقاولات ومنفذى المشروعات.

الثالث: استمرار العملية التنموية بلا توقف ورصد الاعتمادات اللازمة حسبما جاء في الخطط التنموية، ولذلك يمكن القول إن الاقتصاد السعودي - والله الحمد - قوى وله أسس متينة وراسخة.

\* الآن وبعد ما تفضلتم به من تغطية لأهم الشئون الداخلية.. هل تكرمون - يامولاي - بالحديث عن الشئون الخارجية؟

\*\* أود أولاً أن أنوه عن أسس سياستنا الخارجية التي أرسى دعائهما الملك عبد العزيز رحمه الله، وسار عليها من خلفه من أبنائه على سدة المسؤولية.. أول تلك الأسس أننا مع إخواننا المسلمين دولاً وشعوباً في قضاياهم نشاركهم في السراء والضراء دون التدخل في شذونهم. وتاريخ المملكة منذ تأسيسها يشهد على هذه الحقيقة.

فعمدما اجتمع الملك عبد العزيز والرئيس الأمريكى روزفلت في لقائهما التاريخى عام ١٩٤٥ الميلادى استأثرت قضية فلسطين وقية استقلال سوريا ولبنان بالجانب الأكبر من حديث الملك عبد العزيز، يومها قال روزفلت جملته الشهيرة: لقد أحطت خلال ساعتين من حديثى مع (ابن سعود) بما لم أكن أعرفه طول حياتى عن القضية الفلسطينية... وكما هو معروف فإن الرئيس الأمريكى تعهد للملك عبد العزيز بالألتصرف بصفته رئيس السلطة التنفيذية الأمريكية بما يتعارض مع مصالح عرب فلسطين.

وتاريخ المملكة العربية السعودية فى دعم قضية الشعب الفلسطينى معروف للجميع ومن طبائع الأمور فى هذا الصدد أننا نريد للشعب الفلسطينى أن يعيش حراً عزيزاً على ترابه الوطنى . والقول نفسه ينطبق على مختلف القضايا الإسلامية والعربية التى قدمت لها المملكة العربية السعودية؛ العون والدعم بكل ما تستطيع، لا لهدف سوى خدمة الإسلام والمسلمين.

ثانى الأسس التى قامت وتقوم عليها سياستنا الخارجية الثابتة أننا لاندخل فى الشئون الداخلية لأى دولة. وبالمقابل نرفض أى تدخل فى شئوننا. وقد قلت هذا مراراً من قبل وأكرره الآن.

ثالث أسس سياستنا الخارجية هو أن نعمل مع المجموعة الدولية فيما يعود بالخير على المجتمع الإنسانى كله. إننا مع قضايا الحق والعدل أينما كانت. ونحن نشطون فى قيامنا بمسئولياتنا فى المنظمات الدولية المنشأة لمختلف الأغراض الإنسانية وحنظ السلام، وفى مقدمتها - بطبيعة الحال فى الأمم المتحدة وما يتفرع عنها من هيئات ومنظمات، ولنا مساهمات مالية مرموقة مع جميع المؤسسات الدولية والإقليمية بما يعود على المجتمع الدولى بالخير والرفاه، وأبناؤنا المؤهلون بالعلم والخبرة على مستوى رفيع يشغلون مناصب قيادية وتنفيذية فى كثير من تلك المؤسسات الدولية.

لقد كنا وما نزال وسنظل نتطلع - بإذن الله - إلى عالم يسوده السلام وترتفع عليه الطمأنينة لبني البشر جميعا وكفى ما عانى ويعانى العالم منه من سفك الدماء بسبب الإرهاب والحروب والنزاعات المسلحة.

✽ هناك يامولاي من يتحدثون فى الخارج عما يسمونه حقوق الإنسان فى المملكة العربية السعودية؟

✽ حقوق الإنسان عندنا مصنونة ومحترمة بقوة الشريعة الإلهية، رب العزة والجلال كرم الإنسان بما أفاء عليه من نعم خصه بها دون سائر المخلوقات. وفى القرآن الكريم كثير من الآيات التى تثبت هذه الحقيقة وكذلك السنة النبوية المطهرة.

✽ هل تفضلون - يامولاي - بالحديث عن موضوع العلاقات العربية فى الوقت الراهن؟

✽ نحن كما يعرف الجميع دعاة إخاء وتضامن وتعاون بين الأشقاء العرب. كان هذا هدفنا ومايزال، وعلاقاتنا والله الحمد على أحسن مايرام مع الأشقاء العرب، وفى اعتقادى أن دقة المرحلة التى تجتازها أمتنا تتطلب مزيداً من التضامن والتكاتف لتواجه التحديات القائمة، فالله أسأل أن يلهم الجميع الرشد والصواب.

✽ وماذا - يامولاي - عن التعاون الخليجى؟

التعاون الخليجى سائر فى طريقه الرسوم بخطى قوية وثابتة. وأنا شديد التفاؤل بمستقبل التعاون الخليجى.. وكذلك أتلقى بكثير من الغبطة والارتياح تنامى العلاقات

الاقتصادية والثقافية والاجتماعية بين أبناء دول مجلس التعاون، وذلك بناءً على ما هيأته مقررات المجلس الأعلى لدول الخليج العربية. وهذا هو أحد الأهداف الأساسية التي أقيم المجلس من أجلها.

✽ وأخيراً يامولاي - هل من كملة تفضلون بتوجيهها إلى اخوانكم وأبنائكم شعب المملكة العربية السعودية بمناسبة هذا اليوم المبارك.. اليوم الوطني.

✽✽ إنني أتوجه في كلمتي هذه إلى كل مواطن ومواطنة في كل بقعة من بقاع الوطن العزيز آملاً من الجميع أن يحمّدوا رب العزة والجلال على الدوام إزاء ما أفاء به علينا من نعمه وخيراته التي لا تحصى، وأن نعمل متكاتفين متعاضدين بروح الفريق الواحد لمواصلة بناء الوطن في شتى المجالات؛ والذود عنه بكل غال ونفيس، والسير قدماً على الطريق المرسوم نحو مزيد من الرفعة ومزيد من التقدم ومزيد من الازدهار.

وفي هذه المناسبة الغالية أسأل الله جل وعلا أن يديم على بلادنا الغالية نعمه الباطنة والظاهرة، وأن يوفقنا جميعاً إلى تحقيق كل الأهداف الخيرة لما فيه خدمة دين الله الحنيف وخدمة بلادنا الغالية وأبنائها الأعزاء.